محاولات ايران لخلق هيمنة اقليمية شرقي البحر المتوسط
دراسة في الجغرافية السياسية

أ.م.م. فيروز حسن حمه عزيز د.شيروان عمر رشيد د.هاورێ ياسين محمد امين
جامعة السليمانية
كلية العلوم الانسانية
قسم الجغرافية

دراسة في الدوافع الجيوبوليتيكية والمذهبية الكامنة وراء الأطماع الرامية الى خلق هكذا هيمنة

التمهيد:

لعب موقع ايران الجغرافي دوراً متميزاً في خلق جغرافية ايران السياسية وعلى مر العصور. تشكل هضبة ايران مثلثاً هائلاً يربط مابين منخفضين هما منخفض خليج فارس (الخليج العربي) من الجنوب(*)، ومنخفض بحر قزوين من الشمال (الخارطة ١). فهي بذلك تشكل جسراً يربط بين آسيا الوسطى واجزاء واسعة من جنوب غرب آسيا.(١)وتشغل اطراف الهضبة الخارجية ثلاث سلاسل جبلية عالية تحيط بمعظم حافات الهضبة وتبرز على شكل اسوار عالية تحدد سير الاتصالات بين الأقوام التي استوطنت هضبة ايران وبين مختلف القوميات والأعراق التي تجاورها من جميع الأطراف، وتوجهها نحو ممرات بعينها داخل هذه السلاسل عبر العصور. وبذلك يتظافر عامل الطوبوغرافيا مع عامل الموقع في تحديد مسارات الاتصال وانتقال الأفراد والجماعات والمؤثرات الحضارية من اواسط آسيا ومن شمال هضبة ايران وشمالها الغربي الى داخل هذه الهضبة ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد و حتى الان.

وهذا الموقع الجغرافي المتميز لايران بين آسيا الوسطى وقفقاسيا ومناطق واسعة من شرقي البحر المتوسط (كبلاد الشام وميسوبوتاميا) من جهة وامتدادات هذه المناطق في شبه جزيرة العرب وعالم الخليج الفارسي من جهة اخرى، قد ادخلت ايران في قلب الشرق الأوسط (٢)، وحولت اراضيها الى بوتقة تمتزج فيها المؤثرات الحضارية القادمة من اواسط آسيا مع تلك القادمة عبر قفقاسيا لتلتقي بتلكالواردة من ميسوبوتاميا وما يرتبط بها من بلاد الشام وعالم الخليج. وبذلك تكون ايران ونظراً لموقعها الجغرافي قد تحولت وعبر قرون متمادية الى ميدان تتصارع فيه القوى ذات الاصول المغولية (الطورانية) مع القوى والأقوام ذات الأصول الهندو -اوربية القادمة من الممرات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية على حد سواء، ومع الاقوام والقوى القادمة من الغرب والتي يصنفها المؤرخون ضمن مايعرف باسم الشعوب او الأقوام ذات الاصول السامية، ثم جاءت فتوحات الاسكندر المقدوني في الشرق**

(*) نظراً لأن Persian Gulf كان ولازال مصطلحاً يشيع استعماله حتى الآن، فلا نجد مايمنعنا من استعماله.

(١) رومان كريشمان، ايران أز آغارتا اسلام، ترجمة دكتر محمد معين، مؤسسة انتشارات نيكاة، تهران ١٣٨٦ ص٢٧.

**فلكيا تقع ايران بين دائرتي العرض ٣ْ٢٥ – ٤٧ ٣٩ شمالا و خط الطول ٥ ٤٤ – ١٨ ٦٣ شرقي گرينيويج.

(٢) عبد علي حسن الخفاف وعبدالحميد عبدالمجيد القيسي، الأحوال الديموغرافية لايران، جامعة البصرة الدراسات الايرانية،١٩٨٧، ص١٥.

وانتصاره على الملك الأخميني ((دارا الثالث)) في موقعة ((طوطميلا)) الواقعة على نهر الخازر وعلى بعد عشرين كيلومتراً شمال غرب مدينة ((اربائيلو-اربيل))عام ٣٣١ق.م[٣]، قد اضاف عنصراً آخر جديداً الا وهو العنصر اليوناني (الأوروبي)[***]على هذا المركب من القوى المتصارعة والمؤثرات الحضارية المتباينة ذات الجذور المختلفة.

وقد استمرت عملية خلط ودمج القوميات ذات الأصول العرقية المختلفة حتى اوائل القرن العشرين. لذلك يلاحظ وجود فسيفساء متنوعة الألوان من القوميات المتباينة في ثقافتها ولغتها ومذاهبها وطرز حياتها الاجتماعية. فلا غرو اذن في ان يصف احد الباحثين في الجغرافيا السياسية تركيب ايران القومي والمذهبي على انه يشكل واحداً من اكثر بلدان الشرق الأوسط وشمال افريقيا تنوعاً وتبايناً في تكوينها القومي (الاثني) والمذهبي.[٤]وتصف باحثة اخرى هذا التنوع القومي والمذهبي في ايران على انه الوان صاخبة من التنافر الديني والقومي.[٥]

ان وقوع ايران على مفترق طرق الغزو crossroad of conquest هو الذي يفسر لنا في النهاية هذا الخليط من التركيب القومي لايران والذي يلاحظ وجود امتداد لهذا التركيب في كل من العراق والتركيا ودول جنوب روسيا (اي في كل من آذربيجان وارمينيا وتركمانستان)[٦]، وفي كل من افغانستان وباكستان.

اثرتفاعل عناصر الجغرافية السياسية مع كل من مكونات التأريخ السياسى والمعتقدات المذهبية:

ومثلما كان عامل الموقع الجغرافي سبباً كامناً، الى جانب عوامل اخرى، من الأسباب التي دفعت بالعديد من القوى التي تحيط بايران لكي تجرب حظها في بسط سيطرتها على هذه الهضبة التي تحتل موقعاً مركزياً يمر عبره معظم المسالك والممرات التي جرت عليها الاتصالات بين قارات العالم القديم وفي مقدمتها طريق الحرير المعروف silk way [٧]، و بالمقابل فان مثل هذا الموقع المركزي، الى جانب عوامل اخرى، قد اغرت السلالات التي حكمت ايران منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى ايام ((نادر شاه افشار)) (١٦٨٨-١٧٤٧)[٨]،

---

(٣) طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة -الوجيز في تأريخ حضارة وادي النيل- جزيرة العرب وبلاد الشام، بعض الحضارات والأمم القديمة، بلاد ايران والأسكندر والسلوقيون، الجزء الثاني، وزارة الثقافة والاعلام، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦، ص٤٥٢.

(***)كمثال على التفاعل الحضارى بين اليونانيين(الاوربيين) وبين الشرق يكفى ان نشير الى اسكندر قد تزوج من امراة فارسية، وحذا حذوه ٨٠ قائدا من قواده و ١٠٠٠٠ جندي من جنوده.للمزيد راجع طه باقر، المصدر السابق، ص ٤٥٤.

(4) Alasdaire Erysdale and Gerald H.Blake, The, Middle East and North Africa-A Political Geography, Oxford University Press, 1985, p.157.

(5) آمال السبكي، تاريخ ايران السياسي، عالم المعرفة، السلسلة ٢٥٠، المجلس الوطني للثقافة، الكويت ١٩٩٩، ص١١.

(6) Lucile Carlson, Geography and World Politics, Englewood Cliffs, N.J,USA, 1960, P.434.

(٧) عبد علي حسن الخفاف وآخرون، المصدر السابق ص٣١.

(٨)گراهام فولير، قبلهء عالم، ژئوپليتيك ايران ترجمة عباس مخبر، چاپ دوم، چاپ وانتشارات وزارات امور خارجه، تهران، ١٣٧٧ (١٩٩٨) ص٥١.

الخارطة رقم - 1

خارطة ايران في عهد الهيمنة الاخمينية(539-333) ق.م

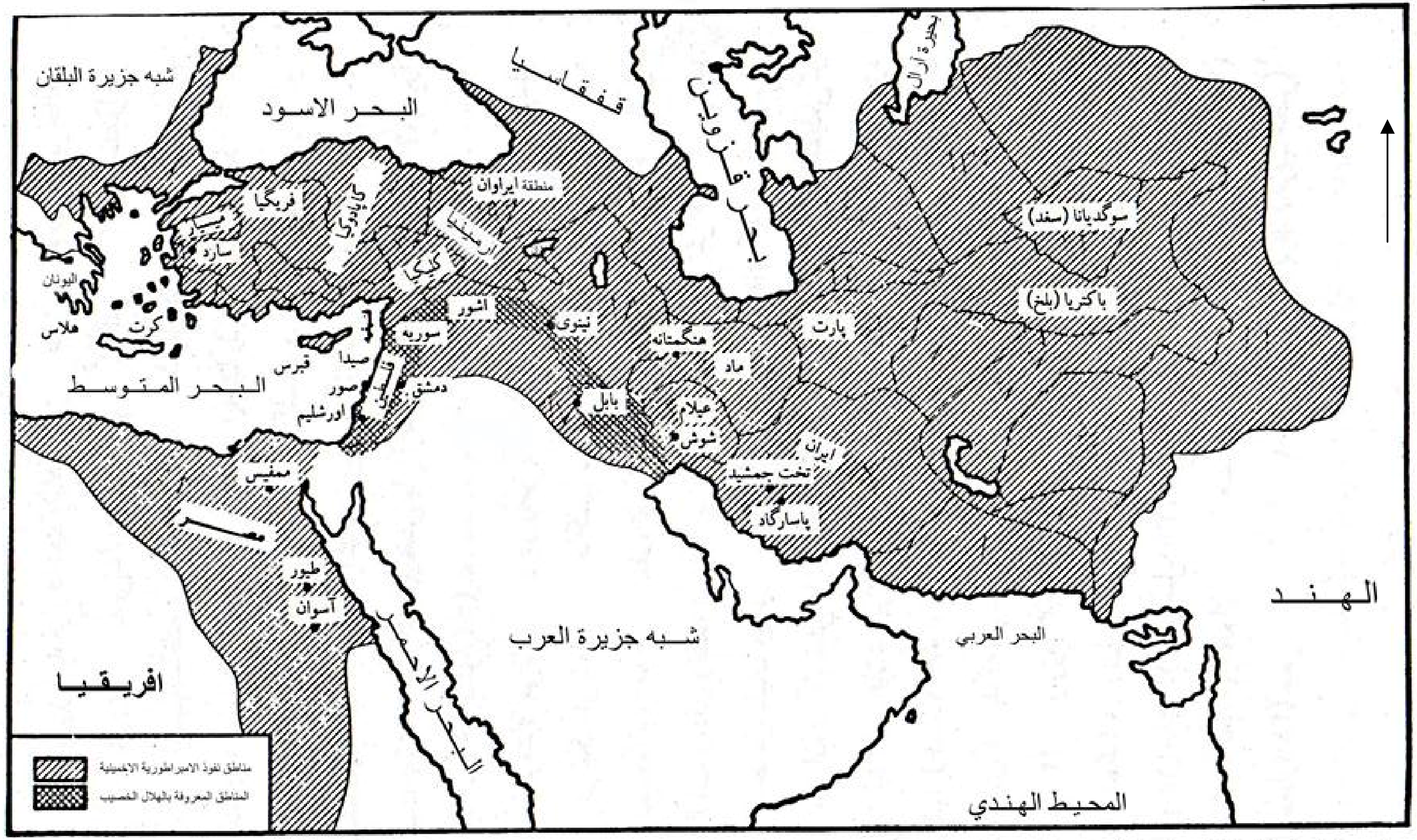

نظِمَت الخارطة بالاعتماد على

1 - فيروز حسن عزيز، التحدي الكوردي كنموذج لتحديات التنوع القومي والمذهبي لأمن ايران القومي، مجلة زانكوى سليمانى، رقم -26، 2009، ص 102.

2 - كالين مالك ايودى، اطلس تاريخى جهان، ترجمه فريدون فاطمى، چاپ دوم، تهران، 1383، ص 87.

بتسيير الحملات العسكرية نحو المراكز الحضارية والدول المحيطة بايران. وقد نجحت تلك السلالات في بعض المراحل في بناء امبراطورية مترامية الأطراف. فليس من باب الصدفة ان يتمكن الفرس الأخمينيون ايام ((داريوش)) الأول (٥٢٢-٤٨٦) قبل الميلاد من بناء اول امبراطورية واسعة في التاريخ تتضمن اراضي شاسعة من القارات الثلاث آسيا، افريقيا، اوربا، وكانت الأولى من نوعها في التأريخ، (الخارطة ٢).[٩]

كل ذلك يعني بأن هضبة ايران بما تحتله من موقع جغرافي متميز، وبما تملكه من سلاسل جبلية تحيط وتمتد على اطرافها الخارجية وكأنها اسوار بنيت لتحمي الهضبة من الطامعين المتربصين بها من جميع الاتجاهات، وبما لهذه الهضبة من امتداد كبير على دوائر العرض وخطوط الطول ومايترتب على ذلك من تنوع في المناخ وفي الانتاج الزراعي، كل هذه المعطيات في جغرافيتها السياسية والطبيعية، في الوقت الذي تشكل فيه عوامل جذب واغراء لكل القوى التي تحيط بالهضبة والتي ظهرت خلال ثلاثة آلاف سنة الاخيرة على الأقل، نفس هذه المعطيات لعبت دوراً واضحاً في دفع القوى التي ظهرت على المسرح السياسي في ايران في ان لاتفوت على نفسها اية فرصة مواتية لتحقيق الرغبات الكامنة في ممارسة فكرة اكتساح المناطق التي تشكل بحكم موقعها نوعاً من مناطق النفوذ لايران، وذلك ضمن الأراضي والمناطق التي تحيط بالهضبة وهناك الكثير من الامثلة على ذلك لايتسع المجال لذكرها.

(٩) گراهام فولير، قبلهء عالم، ژئوپليتيك ايران ترجمه عباس مخبر، چاپ دوم، چاپ وانتشارات وزارات امور خارجه، تهران، ١٣٧٧ (١٩٩٨) ص٤١ و(ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تأريخه حتى الفتح الاسلامي، الجزء الثاني، بغداد، بدون ذكر للمطبعة، ١٩٦٤، ص١٩٣).

الخارطة رقم 2

أول تقسيم لإيران إلى منطقتي النفوذ الروسي والبريطاني عام 1907

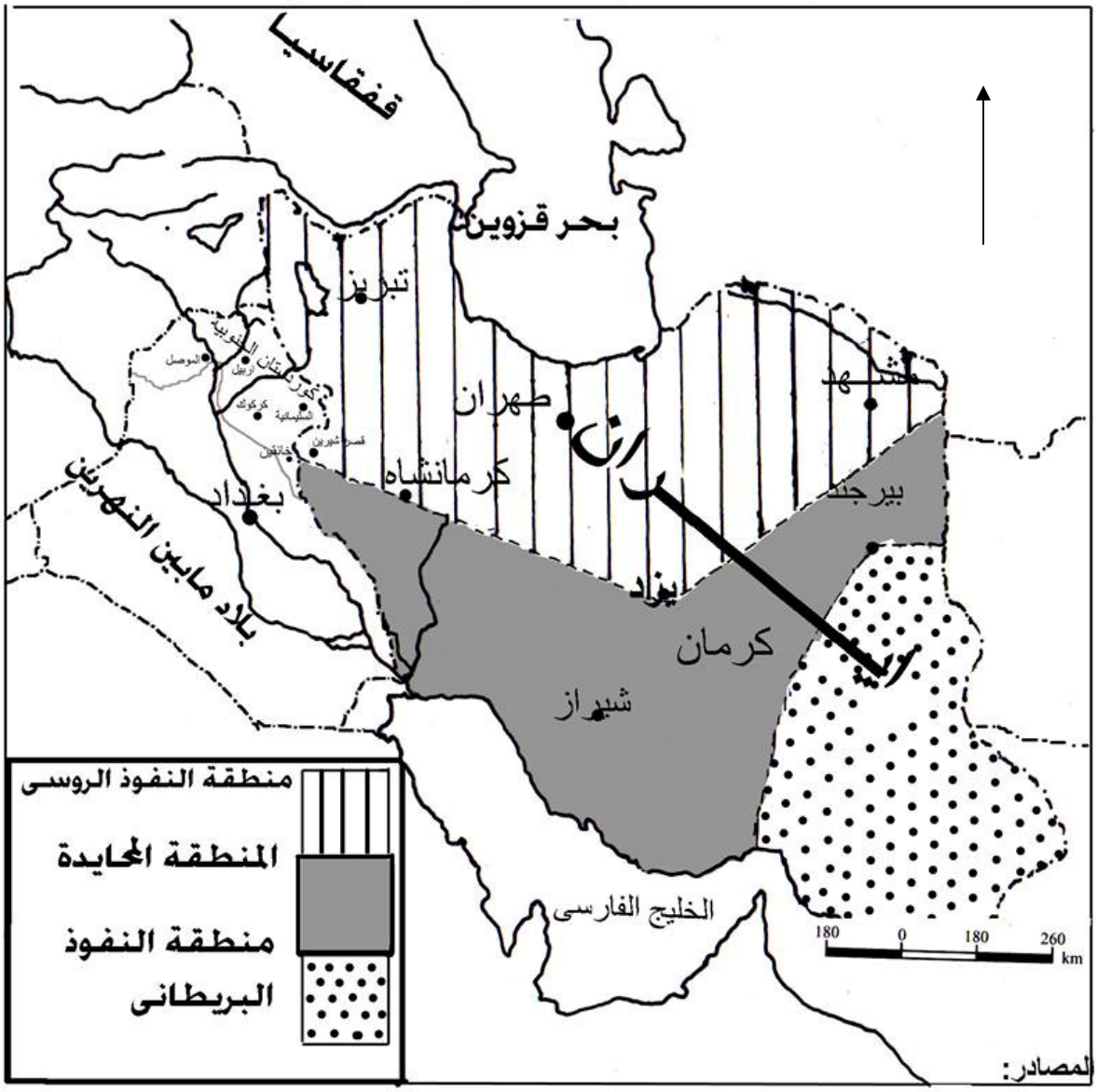

1- Georje Lenczowski. Russia and thr West in iran. 1918 -1948. New York1949 p 15

2- ابراهيم شريف. الشرق الاوسط. دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار.دار الجمهورية. بغداد 1965ص90

المقدمة:

من هذه القراءة المتأنية لتأريخ ايران السياسي والاستراتيجي نستخلص حقيقية عامة مفادها ان معطيات جغرافية ايران السياسية المتمثلة بموقعها الجغرافي المتميز وطوبوغرافيتها ورقعتها الشاسعة وظروفها المناخية، هي التي هيأت لايران المنطلقات المادية التي مكنت القوى المتعاقبة على حكم ايران من الوثوب على مراكز العمران والحضارة في الأقاليم والمناطق المحيطة بايران، وعبر العصور التأريخية المختلفة.

ويلعب العامل الديني (المذهبي) في الوقت الحاضر دوراً متميزاً في تعزيز هذه المنطلقات المادية وفي تحويل المعادلات الجيوبوليتيكية الى مباديء وافكار وقناعات راسخة تتبناها شرائح وطبقات معينة من المجتمع الايراني ولاسيما عند المجموعة القومية (الاثنية) السائدة -أي المجموعة الفارسية- فتتحول لديها الى نوع من المعتقدات المذهبية والتي ينبغي العمل على تحقيقها بكل الوسائل.

فرضية البحث:

وهذا مايشكل الفكرة الأساسية في فرضية هذا البحث والتي تتلخص في ان محاولات ايران للارتقاء بمكانتها الاقليمية والدولية انما هي وثيقة الصلة بمنطلقاتها المذهبية وبمعطيات جغرافيتها السياسية، وذلك الى جانب مايتركه تأريخها السياسي من ثقل ثقافي على اذهان صانعي القرار السياسي في ايران.

هدف البحث:

اما دوافع البحث فواضحة، ذلك لأن اقليم كردستان العراق يملك مع ايران اطول حدود من بين الدول التي تشترك معها في خط الحدود، اذ يبلغ طول الحدود حوالي ٧٠٧ كم[١٠]،وهو اكثر من ضعفي طول الحدود مع تركيا واكثر من ثلاثة اضعاف طول الحدود مع سوريا.[١١]فيترتب على هذا اوسع العلاقات الاقتصادية والثقافية والسياسية مقارنة بعلاقات الاقليم مع بقية دول الجوار، لذلك فان الأهداف الاستراتيجية ذات الابعاد الجيوبوليتيكية التي تنطوي عليها سياسة ايران الاقليمية سوف تكون لها تداعيات واسعة تنعكس على الأوضاع السياسية والاقتصادية في اقليم كردستان سلباً او ايجاباً اكثر من انعكاسها على اية دولة من الدول المجاورة لايران.

لذلك فان التعرف على الخطوط العامة لتوجهات ايران الخارجية يعد امراً ضرورياً ليس فقط لدارسي الجغرافية السياسية في الاقليم، بل وحتى لرجل الشارع في هذا الاقليم.

ومن هنا يأتي الهدف من هذا البحث، والذي يتمثل في المساهمة في خلق وعي سياسي قائم على معطيات الجغرافية السياسية لدى اوسع اوساط المثقفين في الاقليم، الأمر الذي يهيأ لنا الأرضية المناسبة لتفادي التداعيات السلبية التي قد تنطوي عليها تطلعات ايران الاقليمية.

اما طريقة البحث فانها تقوم على تحليل العناصر التي تتشكل منها توجهات ايران الخارجية وستراتيجتهاوذلك اعتماداً على مقومات جغرافيتها السياسية، كما ان طبيعة البحث تطلبت الاعتماد على المنهج التأريخي والذي يعد ضرورة لاغنى عنها في مثل هكذا دراسة في الجغرافية السياسية، ذلك لأن الكثير من الأهداف والتطلعات السياسية لأي دولة والتي تستند على حقائق ومتطلبات جغرافيتها السياسية هي في الواقع تطلعات تضرب بجذورها في عمق

([10]) C.J.Edmonds Kurds, Turks and Arabs, Politics Travel and research in North – Eastern Iraq, London, 1934, p.147.

([11]) **فيروز حسن حمه عزيز، الأهمية الجيوستراتيجية لكردستان الجنوبية وانعكاساتها على السياسة البريطانية تجاهه (١٩١٤ – ١٩٢٤)، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية ٢٠٠٨، ٤٠ – ٤٥.**

تأريخها السياسي والاستراتيجي ولا يمكن حصرها في مرحلة تأريخية معينة، او عزلها عن السياق العام لعملية قيام هذه الدولة وتطورها على مر العصور.[١٢]

وبعبارة اخرى فان استخدام المنهج التأريخي امر لا فكاك عنه لوجود مجموعة من الثوابت في التطلعات الخارجية الاقليمية منها او العالمية لأية دولة، لان هذه التطلعات تقوم على المرتكزات الجغرافية السياسية لهذه الدولة والقائمة على حقائق موقعها الجغرافي وطوبوغرافيتها واتساع رقعتها وشكل هذه الرقعة. والواقع فان هناك العديد من الباحثين في المسائل الجيوبوليتيكية والجيوسياسية يؤكدون على ان الحتمية التأريخية والجغرافية السياسية تأتيان في مقدمة العوامل التي ترسم ابعاد السياسة الخارجية لأية دولة.[١٣] او كما قال راتزل (ان الجغرافية السياسية هي التفسير الجغرافي للتاريخ).[١٤]

مبررات ايران لأطماعها الاقليمية:

ان سقوط نظام الشاه في شباط ١٩٧٩ وقيام النظام الاسلامي مكانه كان نقطة تحول كبيرة في تأريخ ايران المعاصر، حيث شمل التحول نظام الحكم بكافة مؤسساته التشريعية والتنفيذية والقضائية واعقب ذلك تغييرات في جميع مؤسسات المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وشملت التغييرات ايضاً حتى الحياة اليومية للفرد الايراني حيث فرضت طرزاً معينة من الملابس الخاصة بالنساء وترجيح انواع معينة من الملابس الرجالية.[*]

اما التغييرات في سياسات الدولة الخارجية فكانت جذرية وواسعة، فشملت علاقات ايران مع كل من الدول المجاورة بدءاً من العراق ودول الخليج وانتهاءاً باسرائيلوالقوى العالمية الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (السابق). وجاء شعار ((لاشرقية ولاغربية جمهورية اسلامية))[**]تجسيداً لهذه السياسة في العلاقات الدولية، وشكل شعار ((الاسلام لايعرف الحدود))[***]الذي شاع استعماله في الأشهر الأولى من الثورة الايرانية الوجه الآخر لهذه السياسة نحو دول الخليج ودول الجوار الاخرى ، واذا كان الشعار الأول تعبيراً واضحاً عن اصرار القيادة الايرانية الجديدة على استقلال ايران وابعاد النفوذ الخارجي عنها ولاسيما نفوذ وهيمنة القوى العظمى، فان

(12) G.Etzel, N.Marbury Efeminco co, World Political Geography, 2nd Edition, Thomas Y.Crowell Company, New York, 1962, p.5.

(13)Mahmoud Sourioghalalam, Justice for, summer 2001,pp.113-115.

(١٤) محمد محمود ابراهيم الديب، الجغرافية السياسية، منظور معاصر، الطبعة الخامسة الناشر الانطلوالمصرية، القاهرة،٢٠٠٢، ص٤٨.

(*) للمزيد من المعلومات بهذا الصدد يمكن الرجوع الى:

١ –ديليب هيرو، ايران در حكومت روحانيون، ترجمة: محمد جواد يعقوبي دارابي، مركز بازشناسي اسلامي در ايران، تهران، ١٣٨٦ (٢٠٠٧)، ص١٥٦ – ١٦٦.

٢–روح الله رمچانى، چارچوپ تحليلى براى سياستت خارجى جمهورى اسلامى ايران، ترجمه على رضا طيب، تهران، نشرنى، چاپ پنجم، ١٣٨٠ ص ٩٣.

(**) النص الفارسي للشعار هو: ((نه شرقي نه غربي، جمهوري اسلامي)).

(***) نص الشعار بالفرسي هو: ((اسلام مرز ندارد)).

الشعار الثاني يفصح عن رغبة جامحة ولو دفينة في بسط النفوذ والهيمنة بشكل او آخر[١٥]. وستتضح ابعاد هذا التوجه بالسياسة الخارجية في الصفحات القادمة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو ماهي المبررات التي تستند عليها ايران فيما يتعلق بتطلعاتها الاقليمية الهادفة الى فرض نوع من الهيمنة السياسية في هذا الجزء من العالم؟

للاجابة على هذا السؤال لابد لهذا البحث ان يعالج نوعين من المبررات تستند عليها ايران وهي تعمل وتسعى جاهدة لتحقيق الهيمنة السياسية في المنطقة. وفيمايلي هذين النوعين من المبررات:

اولاً- المبررات الآيديولوجية ذات الابعاد الجيوبوليتيكية:

ان قراءة موضوعية للتأريخ السياسي لبعض القوى التي قبضت على زمام الأمور في بعض الدول منذ سنوات مابين الحربين العالميتين كالنازية في المانيا والفاشية في ايطاليا على سبيل المثال تشير بوضوح الى ان الأطماع الجيوبوليتيكية لهذه القوى كانت في معظمها تقوم على مبررات ذاتية مبنية على منطلقات آيديولوجية و جيوستراتيجية.

وبالنسبة لايران فان توظيف العامل المذهبي (الآيديولوجي) لتحقيق مكاسب جيوبوليتيكية لايشكل نهجاً جديداً او سياسة طارئة لايران كدولة. ان اضفاء الطابع المذهبي (الآيديولوجي) على التوجهات السياسية والاطماع الاقليمية في تأريخ ايران الوسيط يعود الى اوائل القرن السادس عشر. فقد تبنى الصفويون لاول مرة هذا المنهج في الحكم والقائم على اضفاء الصفة المذهبية على التطلعات الاقليمية، وكان ذلك ايام شاه اسماعيل الصفوي والذي اتخذ من التشيع ولأول مرة مذهباً رسمياً لدولته عندما اتخذ من ((تبريز)) عاصمة لدولته عام ١٥٠١. وباستثناء سنوات قليلة بقى المذهب الشيعي الاثنى عشر هو المذهب الرسمي للدولة الايرانية منذ هذا التأريخ وحتى الآن.[١٦]وقد دشن الشاه اسماعيل هذا النهج من توظيف المذهب لخدمة الهيمنة الاقليمية. وكان العراق الميدان الأنسب والأرحب والأقرب لامتحان هذا النهج. فبعد غزوه لبغداد قام الشاه بهدم قبور ائمة السنة وذبح مجموعة من علمائهم. وعلى العكس من ذلك قام بزيارة العتبات المقدسة في كربلاء وامر ببناء ضريح فخم على قبر موسى الكاظم فاصبح الشاه سيداً لايران والعراق.[١٧]وكان الملوك الصفويون يتخذون من العتبات المقدسة ذريعة للتدخل في شؤون العراق[١٨]، وفرض سيطرتهم عليه. ويرى البعض من الباحثين الايرانيين في مجال الدراسات الجيوبوليتيكية بأن تبني شاه اسماعيل الصفوي للمذهب الشيعي الاثنى عشر (الجعفري) كدين رسمي لايران، قد صان ايران من الغزوات التي بدأها سلطان سليم العثماني باتجاه الشرق (في العقد الاول من القرن السادس عشر)، فهذه الغزوات كانت تستند على مزاعم مذهبية مفادها ان العثمانيين هم خلفاء للمسلمين ولهم الحق في حكم المسلمين جميعاً اينما وجدوا.

---

(١٥) روح الله رمضاني، چارچوپ تحليلى براى سياستت خارجى جمهورى اسلامى ايران، ترجمة علي رضا طيب، تهران، نشرنى، چاپ پنجم، ١٣٨٠ ص ٩٣.

(١٦) بهزاد كشاورز، تشيع وقدرت در ايران، انتشارات خاوران، چاپ اول، پاريس، ١٣٧٩، ص٤٩ – ٥٠.

(١٧) ستيفن هيمسلى لونگريگ، اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الرابعة مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨، ص٣٢.

(١٨) علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩، ص٢٢.

وكان ذلك يمهد السبيل لاحتمال وقوع ايران تحت سلطة العثمانيين لفترة طويلة. لذلك فان الاجراء الذي اقدم عليه شاه اسماعيل قد شكل سداً منيعاً في وجه زحف العثمانيين نحو الشرق، وابطل مزاعمهم.[١٩]

ان تبني المذهب الشيعي (الجعفري) كدين رسمي للدولة الصفوية لم يكن سبباً في جعل هذه الدولة متمايزة ومتباينة عن الدولة العثمانية، بل وترتب على ذلك ان اصبحت دولة ايران منذ ذلك التأريخ في حالة حرب مع معظم الدول المجاورة لها وعلى رأسها افغانستان السنية والمناطق التي تشكل دولة العراق الحالية والتي كانت ولاية من ولايات الدولة العثمانية، والاكثر من ذلك فان ايران الشيعية قد ساهم في فصل اتجاهات ايران الفكرية والثقافية، عن مثيلاتها في العالم الاسلامي الاكثر اتساعاً والذي تدين الغالبية العظمى من رعاياه بالمذهب السني.[٢٠]

ومن كل ماتقدم نخرج بنتيجة مؤداها ان التغيير الذي احدثه شاه اسماعيل الصفوي في تبني المذهب الشيعي الاثنى عشر كدين رسمي لدولته، لم يكن مدفوعاً بزهده وورعه او من تمسكه بأهداب الاسلام، وانما كان مستجيباً لضرورات جغرافية ايران السياسية ومتطلبات واقعها الجيوبوليتيكي.

ان قراءةموضوعية لسير اشهر ملوك الصفويين، تؤكد على هذه الحقيقة. فالمعروف عن هؤلاء الملوك كونهم لم يكونوا يتورعون عن ارتكاب افضع الجرائم ليس فقط بحق اعدائهم، بل وايضاً بحق مواطنيهم، وحتى بحق ابائهم وبناتهم[*]، وكانوا في بعض الحالات يلجؤن الى سمل عيون اولادهم البالغين بمجرد الشك في ولائهم لهم.[٢١]

وهكذا يمكن القول بان الحروب التي شنها الصفويون على عدد من دول الجوار، الى جانب ما ارتكبوه من مجازر بحق مواطنيهم من السنة والذين كانوا حتى ظهور الصفويين على مسرح ايران السياسي يشكلون غالبية سكان ايران، انما كان توظيفاً للآيديولوجيا المذهبية لخدمة اغراض جيوبوليتيكية، اكثر من ان تكون حروباً بهدف التبشير بالمذهب الشيعي.لذلك يعزو العديد من الباحثين التعصب المذهبي المفرط لدى معظم ملوك الصفويين الى انطباقه مع اطماعهم الاقليمية، وان التبشير المذهبي لم يكن هدفاً لذاته، مثلما كان البعض من السلاطين العثمانيين يضفون الصبغة الدينية على حروبهم مع الصفويين، ويبدؤن حروبهم باستصدار فتوى من شيخ الاسلام (الذي كان يمثل اعلى منصب ديني) لمحاربة الصفويين بوصفهم كفاراً وزناديق.[٢٢]

والى هذا النهج من الحكم القائم على ايمان شيعي قوي مفعم بالثقافة والمدنية، يعزو لونگريگ ذلك طول فترة حكم هذه السلالة لتسعة اجيال، اي اكثر من قرنين (١٥٠١ – ١٧٣٦)، وذلك على العكس من قصر فترة حكم بقية

---

(١٩) فيروز مجتهد زاده، جغرافياي سياسي و سياست جغرافيايي، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انساني دانشگاهى (سمت)، تهران، ١٣٩١ (٢٠٠٢)، ص٣٣٩.

(٢٠) گراهام فولير، قبلهء عالم –ژئوپليتيك ايران، ترجمة عباس مخبر، چاپ دوم چاچخانه: چاپ و انتشارات وزارت امور خارجه، تهران ١٣٧٧ (١٩٩٨)، ص٤٢.

(*) تشير المصادر التأريخية الى ((ان الشاه اسماعيل قد امر بذبح ولادته من الوريد الى الوريد بين يديه)). للمزيد من المعلومات بهذا الصدد يراجع: بهزاد كشاورز، منبع پيشين، ص٤٧.

(٢١) بهزاد كشاورز، همان منبع ثيشين، ص٥٢ – ٥٤.

(٢٢) سعدي عثمان هروتي، كوردستان والامبراطورية العثمانية -دراسة في تطور سياسة العثمانية في كوردستان- مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨ن ص٣٨ – ٣٩.

السلالات الحاكمة التي تناوبت على الحكم في ايران في تأريخها الوسيط، وانه لو لم تجمع الصدف توسع العثمانيين نحو الشرق في مقابل الصفويين، لظل العراق ولاية ايرانية حتى يومنا هذا.[٢٣]

ان توظيف الآيديولوجيا المذهبية لتحقيق الأهداف الجيوبوليتيكيةيبلغ اوجه في جمهورية ايران الاسلامية وذلك منذ تأسيسها عام ١٩٧٩ وحتى الآن. فلأول مرة في تأريخ ايران السياسي يتم توثيق هذا النهج في ثنايا دستورها الدائم والذي يعرف ب((القانون الأساسي لجمهورية ايران السياسية)). فقد نص الدستور الدائم في المادة ١٢ على ان الدين الرسمي هو الاسلام والمذهب الجعفري الأثنى عشر، ان هذه المادة ابدية وغير قابلة للتغيير. اما المادة ١١٥ فقد نصت على ان الرئيس الجمهورية يجب ان يكون مؤمناً بمذهب ايران الرسمي.[٢٤]

ولعل المادة الحادية عشرة من دستور ايران الدائم تشكل مثالاً بارزاً لما اشير اليه. فقد نصت المادة على انه: ((وفقاً لحكم الآية الكريمة((ان هذه امتكم امة واحدة، وانا ربكم فاعبدون)) فان المسلمين جميعاً هم امة واحدة، وان من واجبات جمهورية ايران الاسلامية ان تبني سياستها العامة على اتحاد وائتلاف جميع الأمم الاسلامية، وهي تعمل جاهدة لكي تنجز وحدة سياسية وثقافية للعالم الاسلامي[٢٥].

فهذا النص الفضفاض والملىء بالضبابية يحتمل اكثر من تفسير. فمفهوم الأمة الواحدة كما تأتي في بعض الآيات القرآنية، لاينسجم مطلقاً مع مفهوم الأمة او القومية كما تعالجها الجغرافية السياسية المعاصرة، ثم كيف يتم تحقيق وحدة سياسية للعالم الاسلامي؟! ففي الوقت الذي يلاحظ على سبيل المثال توحيد دولتين عربيتين خليجيتين متشابهتين في الدين والمذهب واللغة وربما اللغة المحلية والثقافة، وعلى جانب كبير من التشابك والتطابق في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، امراً صعباً للغاية ان لم نقل مستحيلاً، فكيف بايران الاسلامية توحد العشرات من الدول الاسلامية التي لايجمعها جامع، اذا استثنينا مكوناً واحداً وهو عامل الدين؟

فكيف تحقق ايران وحدة سياسية مع سعودية!؟ او مع بنكلادش او مع لبنان او المغرب! مع هذا البعد المكاني او الاختلاف المذهبي واللغوي والثقافي والتركيب القومي والتباين الاجتماعي والاقتصادي.

فهذه المادة الفضفاضة والبعيدة كل البعد عن حقائق السياسة في العالم المعاصر، والتي تتنافى مع القانون الدولي الذي لايبيح لأية دولة التدخل في الشؤون الداخلية لدولة اخرى.[٢٦]فكيف يتسنى لايران توحيد الدول الاسلامية سياسياً وثقافياً من دون التدخل في شؤونها الداخلية. هذه وغيرها اسئلة تطرح نفسها بهذا الخصوص، وسيحاول البحث القاء الضوء على مغزى هذه البنود الدستورية ذات الأبعاد والتداعيات الجيوبوليتيكية، والمبنية على مقولات آيديولوجية (معتقدات مذهبية)، والتي ترمي في النهاية الى فرض نوع من الهيمنة السياسية وكسب مناطق نفوذ مضمونة ومن دون القيام بتحريك الجيوش وما يثيرها من لغط وادانات دولية.

([٢٣]) ستيفن هيمسلي لونگريگ، المصدر السابق، ص٣٢.

([٢٤]) فيروز حسن عزيز، التحدي الكردي كنموذج لتحديات التنوع القومي والمذهبي لأمن ايران القومي، گۆڤاری زانكۆی‌سلێمانی -B- ژماره -٢٦- سلێمانی، ٢٠٠٩، ص١٣١. وللاطلاع على النص الفارسي لهذه البنود يمكن الرجوع الى:
http//www.ahl-ul-bayt.org/Final lib/other/Ghonone Assasi/index.

([٢٥]) قانون أساسي جمهوري اسلامي ايران، تهيئة وتنظيم: علي خاتمي، نوبت اول، انتشارات بلاغت، ليپوگرافی تعاوني قم، چاپخانه دانش، ١٣٧٦ (١٩٩٧).

([٢٦]) المادة ٢ البند٤ من الفصل الاول من مقاصد هيئة الامم المتحدة و مبادئها- ديباجة ميثاق الامم المتحدة لعام ١٩٤٥.

والتحليل الموضوعي لمثل هذه البنود يتطلب منا العودة الى المباديء السياسية الجديدة التي جاء بها آية الله الخميني الذي قاد الثورة ضد النظام الملكي في ايران عام ١٩٧٩. وقد كان الخميني يؤمن بأن الاسلام ظاهرة دينية عالمية وكان يرى بأن تصدير الثورة الى بقية دول العالم امر ضروري.[٢٧]

طريقة تصدير الثورة كما يراها قادة الثورة الاسلامية في ايران:

فقد اكد الخميني في كتابه ((صحيفة نور)): ((لم يأتي الاسلام لمملكة واحدة او لمجموعة من الممالك او لطائفة من الطوائف، بل انه لم يأت حتى للمسلمين فقط، بل جاء الاسلام لكل الناس على وجه الأرض، والناس في العالم اجمع. يريد الاسلامان ينشر عدله عليهم، ونحن نحاول تحقيق ذلك على مراحل)).[٢٨]

غير ان السبيل للوصول الى هذا الهدف في نظر الخميني لاينطوي على اشهار السيف، لأن تصدير الفكر باستخدام القوة لايمثل تصديراً في نظره.[٢٩] وفي مناسبة اخرى يوضح الخميني مايقصدونه به من تصدير الثورة، فيؤكد على ان ((مانشير اليه باسم تصدير الثورة، لايجب ان يفهم منه على اننا نهدف الى غزو البلدان الأخرى، لأننا ننظر الى جميع الأقطار الاسلامية على انها جزء منا، ونحن نعمل على ان تقتفي هذه الأقطار اثر ايران الاسلامية فتنجز ما انجزناه نحن في ايران)).[٣٠]

ان مثل هذه الرؤية المبنية على المنطلقات الدينية (المذهبية) في السياسة الخارجية والتي روج لها الخميني مع عدد من الشخصيات الدينية الملتفة حوله في العقد الأول من الثورة، قد اثارت ردود فعل متباينة، ساخطة في معظمها لدى دول المنطقة، ولاسيما الخليجية منها. كما ان مثل هذه التطلعات التي تنطوي على طموحات سياسية وتترتب عليها تداعيات جيوبوليتيكية غير معروفة العواقب، قد اثارت حفيظة الاتحاد السوفيتي الجار الشمالية لايران، لأنه كان قلقاً من ان تنتقل مثل هذه الأفكار الثورية والممارسات المتطرفة والشعارات المذهبية الى جمهوريات آسيا الوسطى الاسلامية، والتي تشكل الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي، كما انها تشكل خطراً على تواجد السوفيت في افغانستان. اما الولايات المتحدة وكذلك (دول اوربا الغربية) فكانت ترى في مثل هذه التوجهات غير المتعارف عليها على انها تشكل عامل عدم استقرار، وباعثاً للفوضى وفقدان الثبات.[٣١]

فكرد فعل مناسب لهذه التوجهات بادرت دول الخليج الست عام ١٩٨١ الى تشكيل ((مجلس التعاون الخليجي)) عام ١٩٨١ وذلك درءاً للأخطار التيقد تصيب بها جراء هذا النمط من التطلعات السياسية الخارجية والمبنية على منطلقات دينية ومعتقدات مذهبية، والتي بدأت ايران مابعد الثورة تمارسها بحماس في علاقاتها مع مختلف دول المنطقة والقوى العالمية الكبرى.

([٢٧]) نعمت الله مظفر پور، رويارويى آرمان شهر گرايان، شركت انتشارات علمي و فرهنگى، چاپ اول تابستان ١٣٨٦ (٢٠٠٧٩ تهران، ص١٣٨.

([٢٨]) روح الله خميني، صحيفة نور، جلد ١١، چاپ سروش، تهران، ١٣٦٩، ص٢٨.

([٢٩]) روح الله رمضاني، چار چوپى تحليلي برای بدرسي سياست خارجى جمهورى اسلامي ايران، ترجمة: كلير چاگيب، چاپ پنجم، چاپ غزال، تهران، ١٣٨٦ (٢٠٠٧)، ص٦٥.

([٣٠]) نعمت الله مظفر پور، همان منبع پيشين، ص١٤٦.

([٣١]) روح الله رمضاني،همان منبع پيشين، ص٦٧.

والواقع ان ماشار اليه الخميني من ان تصدير الثورة لايعني اشهار السيف في وجه الآخرين او غزو اللبلدان الأخرى، كان يقصد به تهدئة روع الدول المجاورة ولاسيما الخليجية منها ذات البنية السكانية الهشة، ذلك لأن واقع الأحداث في الشرق الأوسط وفي الثمانينيات من القرن الماضي، اي على الأقل حتى وفاة الخميني في حزيران ١٩٨٩، يشير الى وجود نمط سافر من تصدير الثورة وذلك على شكل التدخل المباشر في احداث لبنان عام ١٩٨٢ وقبلها في البحرين وفي مناسك الحج في مكة عام ١٩٨٧.

فقد استغلت ايران غزو اسرائيل لدولة لبنان عام ١٩٨٢، فسارعت الى ارسال وحدات من الحرس الثوري الايراني الى لبنان، وذلك لتقديم كافة اشكال الدعم اللوجستي logistic support **الى حركة حزب الله الشيعي (الذي يوصف عادة بالتطرف ويتهم بالارهاب في الاعلام الغربي والأمريكي). ومما له مغزاه ان هذا الدعم قد تم برمجته بالشكل الذي يخدم المصالح الجيوبوليتيكية والآيديولوجية لايران كدولة، ولم يكن الدعم يقصد من وراءه خدمة الأهداف الداخلية للطائفة الشيعية في لبنان.[٣٢] وهناك المزيد من الأمثلة على ممارسات عملية لايمكن تصنيفها الا ضمن جهود تصب في خانة التصدير السافر للثورة. ومن هذه الممارسات قيام الحجاج الايرانيين بترديد شعار ((البراءة عن المشركين)) اثناء مناسك الحج السنوية لعام ١٩٨٧. والايعاز الى عناصر من حزب الله وغيرهم من المجموعات الشيعية في لبنان بالاحتفاظ ببعض الرهائن من الامريكيين والالمان والفرنسيين والذين اختطفوا داخل بيروت، وتفجير مقرات قوات البحرية الامريكية والفرنسية في عمليات انتحارية نفذها عناصر من حزب الله عام ١٩٨٢. كما ان المحاولة الانقلابية التي كانت تستهدف نظام الحكم في البحرين عام ١٩٨١، قد نسبت الى ايران، واعتبرت تدخلاً سافراً في شؤون الغير من قبل ايران.[٣٣]**

ومثل هذا النوع من الممارسات قد ساهم في تغيير الكثير من موازين القوى الاقليمية بل وحتى العالمية. فالى ماقبل سقوط الشاه، كان شيعة لبنان وغيرها من الأقطار العربية، ينظرون الى اية صلة تربطهم بايران على انها عبء ثقيل وامر يبعث على الخزي والعار، غير ان الثورة الايرانية - وكما يشير الباحث فؤاد العجمي-قد قلبت التأريخ رأساً على عقب، ومهدت السبيل الى ظهور حركات اسلامية تتبنى سياسات قائمة على معتقدات ترتبط بوعود مذهبية حول حتمية انتصار المسلمين، وتتخذ من التطرف نهجاً لها.[٣٤]

ان ظهور مثل هذا النوع من الحركات السياسية لايجب ان يفهم منه على ان المجموعة الشيعية في بعض بلدان الشرق الأوسط، انما يرجحون انتماءهم المذهبي على انتمائهم القومي، بل ان البعض من الباحثين يرون بأن غالبية الشيعة في بعض دول المنطقة، كما في لبنان وسوريا والعراق على سبيل المثال، كانوا الى ماقبل ٢٠١٠، يعطون الأولوية الى انتمائهم القومي والتأريخي والثقافي، فلا تحتل الاعتبارات المذهبية عندهم الا مكانةً ثانوية.[٣٥]

فقد اشار الباحث الشيعي اللبناني الدكتور حارث سليمان الى هذه الحقيقة عندما اكد على وجود قيادات شيعية غير راضية عن سياسات حزب الله اللبناني القائمة على مماشاة ايران في توجهاتها الاستراتيجية، واوضح بأنه على

([٣٢]) گراهام فولير،منبع پيشين، ص١٤٥.

([٣٣]) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص٦٧.

([34]) Foad Ajami, Lebanon and its inheritors, Foreign Affairs Magzine, Spring 1985, p.786.

([35]) Kayhan Barzegar, Iran and the Shiite Cresent, Myths and Realities, Brown Journal of world affairs, Volume XV, 2008, p.91.

الرغم من معاداة النخبة التقدمية الشيعية لاسرائيل وسياساتها العدوانية، ولكنهم لايتفقون مع حزب الله في اقحام الحزب في الشؤون الداخلية للدول الأخرى خدمة لمصالح ايران السياسية واستراتيجيتها.[٣٦]

ان كون المواطن العربي شيعياً لايعني بالضرورة انه يجاري ايران في اجندتها السياسية وتوجهاتها الاستراتيجية، وما اشير اليه بصدد احجام فئة من مثقفي لبنان عن الانجرار وراء سياسات حزب الله التي هي في النهاية رجع لصدى تطلعات ايران الجيوبوليتيكية الاقليمية، يصح ايضاً بالنسبة للمجموعة الشيعية في العراق وسوريا وغيرها من الدول التي تشكل فيها الشيعة جزءاً من نسيجها القومي والاجتماعي.

ويترتب على هذه الحقيقة نتائج واضحة تتمثل في ان المنطلقات الآيديولوجية والمذهبية التي تتخذ منها ايران وسيلة لبسط هيمنتها السياسية على دول المنطقة ليست وسيلة هينة ومضمونة النتائج.

بدايات التحول الى تبني سياسة خارجية اكثر واقعية مع العالم الخارجي:

كثيراً ما تتحطم المباديء والمقولات السياسية وغيرها والتي ينادي بها قادة الحركات السياسية او الدينية عندما يكونون خارج السلطة، على صخرة الواقع عندما يستلمون السلطة. فمن بين المقولات التي نادى بها الخميني المقولة التي تقول: ((لنبقى منزوين عن العالم حتى نعزز استقلالنا))[٣٧]واكد عليها في السنوات الأولى من الثورة. غير ان تطور الأحداث السياسية سرعان ما اثبت بطلان هذه المقولة. فبدأ جناح من القيادة الايرانية تميل الى انتهاج سياسة اكثر واقعية في علاقات ايران مع العالم الخارجي.[٣٨]فقد كان البعض من متنفذي هذا التيار من امثال هاشمي رفسنجاني يرون بأن تصدير الثورة عن طريق استعمال وسائل العنف اصبح امراً غير مجد، وانه بدلا من محاولة تصدير الثورة ودعم الحركات الثورية في الدول الأخرى، بادروا الى تطوير العلاقات مع الكثير من دول العالم ولاسيما المجاورة لايران. فهذا التيار ذو الاتجاهات البراكماتية، كان يرى بأن من الأفضل لايران ان تقدم النموذج الأمثل لدولة اسلامية تسودها العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية الاسلامية، لتكون ايران نموذجاً يحتذى به، عليه فانه لايتأتى لايران خلق هكذا نموذج الا اذا كانت ايران متمتعة باقتصاد مزدهر ومنفتحة على الدول الاسلامية المجاورة.[٣٩]كما ان آية الله (منتظري) الذي كان الرجل الثاني بعد الخميني في السنوات الأولى من الثورة كان من دعاة تصدير الثورة لعدة سنوات، لكنه غير رأيه واصبح من دعاة خلق النموذج الأمثل في الحكم داخل ايران لكي يحتذى.[٤٠]

خلال سنوات الحرب العراقية - الايرانية التي استمرت لثماني سنوات (١٩٨٠ - ١٩٨٨) بقيت ايران في عزلة سياسية واضحة، سواءاً على المستوى الاقليمي او على المستوى العالمي. فباستثناء سوريا التي ابقت على علاقات ودية مع ايران في جميع المستويات، وذلك نكايةً بالقيادة العراقية، ولأسباب اخرى لامجال لذكرها، وباستثناء مستوى معين من العلاقات بين ايران وكل من سلطنة عمان والامارات العربية، فان علاقات ايران السياسية مع بقية دول

---

(٣٦) برنامج ((ثانوراما)) الذي قدمته فضائية ((العربية)) الاماراتية في مساء ٤/نوفمبر/٢٠١٢ والذي شارك فيها ايضاً كل من محمد حمزة مدير منتدى الشرق الأوسط في القاهرة، والناشط السياسي اللبناني على امين اضافة الى الدكتور حارث سليمان.

(٣٧) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص١١١.

(٣٨) بيژن ايزدي، سياست خارجي جمهوري اسلامي ايران، تهران، دفتر تبليغات اسلامي، قم، ص٧٤.

(٣٩) نعمت الله مظفر پور، منبع پيشين، ص١٥٧.

(٤٠) روح الله رمضاني، همان منبع پيشين، ص٧١.

المنطقة قد وصلت الى ادنى مستوى لها، بل وتدنت الى حد القطيعة عملياً مع الكثير من هذه الدول. غير ان انتهاء الحرب العراقية - الايرانية في تموز ١٩٨٨ ومن ثم احتلال العراق لدولة الكويت في سبتمبر ١٩٩٠، قد ساعد على فتح صفحة جديدة من العلاقات بين ايران وبقية دول المنطقة، ولاسيما الخليجية منها، ونجم عن ذلك انتهاج سياسة جديدة لاترمي الى تحقيق اهداف آيديولوجية ولاتتخذ من مبدأ تصدير الثورة في صدر اهم اولوياتها. لذلك امتنع رفسنجاني الذي كان رئيساً للجمهورية عن تقديم اي شكل من اشكال الدعم المادي لثوار الشيعة في وسط وجنوب العراق والذين ثاروا على نظام صدام في اعقاب الحاق الهزيمة به وطرده من الكويت عام ١٩٩١، وذلك على الرغم من طلبات المجلس الأعلى للثورة الاسلامية، والذي كان يتخذ من طهران مركزاً لنشاطه.[٤١]

وكان هذا النهج شكلاً من اشكال السياسة البراكماتية[*] والتي بدأت القيادة الايرانية الجديدة بممارستها منذ التسعينيات من القرن الماضي. فقد سيطر هذا الجناح على رئاسة الجمهورية وعلى مجلس الشورى (البرلمان الايراني) واصبح يعرف في الاعلام الغربي والامريكي بالمحافظين البراكماتيين.

ان تحفظات الجناح البراكماتي المعروف بالتيار الواقعي، على محاولات تصدير الثورة، وترددهم واحجامهم عن اللجوء الى استخدام وسائل الدعم السافر للحركات الاسلامية في بقية الدول الاسلامية ولاسيما تلك التي تجاور ايران، لايعني ان هذا الجناح لايهمه كثيراً التفوق الاقليمي لايران، مثلما يوليه الجناح المتشدد المعروف بالاصوليين، بل ان الفرق بين الجناحين من الأجنحة الحاكمة هو في تباين الطرق والوسائل. اي ان الاختلاف بينهما يكمن في الشكل وليس في المضمون.

يرى العديد من الباحثين بأن التيار الواقعي يشمل على اولئك القادة الذين يعملون على توظيف جميع الموارد والامكانيات القومية الكفيلة لتطوير وتنمية المجتمع الايراني. فهم يريدون ادخال كل شيء الى داخل الحدود الايرانية والى ساكني هذه البلاد. وان هدفهم النهائي من التمسك بالاسلام انما هو تعزيز قدرات ايران، وان هدف ايران من دعم الحركات والمجموعات الاسلامية في بقية الدول الاسلامية او غيرها، انما هو في النهاية تعزيز قدرات ايران. وان الهدف الاصلي والنهائي من سمعة ايران المعنوية هو تقوية ايران، وان نشر الاسلام وتوسيع حدوده انما يقصد منه تعزيز مكانة ايران وسكانه.[٤٢]

هكذا اذن تلتقي اهداف صانعي القرار في ايران الاسلامية من توظيف المنطلقات الآيديولوجية والمذهبية في السياسة، سواءاً كانوا محسوبين على الجناح البراكماتي (الواقعي) او من المحسوبين على الجناح المتشدد (الاصوليين)، تلتقي اهدافهم في شيء واحد الا وهو تعزيز مكانة ايران السياسية والجيوبوليتيكية وعلى المستويين العالمي والاقليمي.

---

(٤١) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص٦٧.

(*) البراكماتية: Pragmatism كلمة لاتينية الجذور Pragmaticus وتعني خبير في الأعمال الاقتصادية او في القانون. اما في اليونانية Pragmatikos فتعني انجاز امرٍ ما. وتستعمل اليوم للدلالة على التعامل مع كل المسائل والشؤون اليومية بصورةٍ عملية وليس بصورة نظرية او وفقاً للشائعات. (راجع هذه الكلمة في: Simon and Schuster, Websters New World Dictionary اما في المعاجم والقواميس العربية فانها تترجم الى الكلمة الذرائعية وكذلك تترجم الى الواقعي او العملي.

(٤٢) محمود سريع القلم، سياست خارجى جمهورى اسلامى ايران، چاپ اول، تهران، مركز تحقيقات استراتژيك، ١٣٧٩ (٢٠٠٠)،ص٦١-٦٢.

تأسيساً على ماسبق من سطور يمكننا الخروج بنتيجة مؤداها ان المعتقدات المذهبية والمنطلقات الآيديولوجية التي تطرح كشعارات تلزم ايران نفسها بها لكونها جزءاً من الواجبات والتكاليف الدينية[٤٣]، انما هي في الواقع مبررات يراد بها تغطية الاجراءات والمواقف والاعمال التي تلجأ اليها ايران في علاقاتها مع دول المنطقة وغيرها من مختلف دول العالم.

ثانياً- المبررات التأريخية والجيوبوليتيكية:

لاشك ان التأريخ السياسي لأية دولة يلقي بظلاله على الواقع السياسي والثقافي الاجتماعي لهذه الدولة وسكانها. ولاتخرج ايران عن هذه القاعدة. سبق وان اشار البحث الى ان ايران كانت لها قصب السبق في بناء اول امبراطورية واسعة ضمت اراضي شاسعة في قارات العالم القديم الثلاث، وذلك خلال الفترة الممتدة من عهد كورش الكبير عام ٥٥٥ ق.م الى نهاية حكم اردشير الأول الأخميني عام ٤٢٤ ق.م.[٤٤](راجع الخارطة ٢).

وخلال العصور الوسطى وبعد الفتوحات الاسلامية وعلى الرغم من وقوع ايران تحت سلطة الأمويين والعباسيين، ومن ثم خضوع ايران لحكم عدد من السلالات التركية الحاكمة، فانها بقيت ردحا من الزمن مركزاً لامبراطورية واسعة تمتد من نهر السند الى بلاد ماوراء نهري سبحون وجيحون في اواسط آسيا، والى بلاد القفقاس بين بحري قزوين والأسود، وعلى اجزاء من اناضول وبلاد الشام والعراق وشبه جزيرة العرب ومصر بأفريقيا.[٤٥] كما ان ايران و لبعض الفترات التاريخية قد بقيت ايضاً مركزاً لدولة مترامية الأطراف تضم مناطق واسعة مما يعرف اليوم باسم افغانستان وباكستان واوزباكستان وتركمانستان وطاجيكستان الى جانب مناطق واسعة من ارمينيا وجورجيا وآذربيجان الروسية.[٤٦]

ان تأريخاً من هذا النوع وعلى هذا المستوى من الهيمنة السياسية على المسرح السياسي لاواسط آسيا وجنوبها الغربي، وعبر قرون مديدة، لابد وان يثير نوعاً من الغرور والشعور بالعظمة او بنوع من التفوق في اذهان الساسة والقيادات الحاكمة في ايران وعلى مر العصور. فلا غرو ان يندفع قادة ايران الاسلامية نحو فرض نوع من الهيمنة على دول المنطقة، وذلك عن طريق اقامة علاقات متميزة مع بعض الحركات السياسية او مع عدد من دول المنطقة والتي سيسلط عليها البحث المزيد من الضوء في الفقرات التي تلي.

ويرى طراهام فولير Graham Fuller ان الأمجاد التأريخية لماضي ايران قد تركت بصماتها على نفسية الفرد الايراني. فالفرد الايراني في نظره واثق من ان لايران ثقافة تفوق ثقافة العرب، ويرى فولير بأن الفرد الايراني يؤمن في قرارة نفسه بأن العرب تأريخياً انما هم من بدو الصحراء ومن آكلي السحالي، وانهم لايجيدون طرق واساليب الحضارة. اما الأتراك ففي نظر الايرانيين وعلى الرغم من قدراتهم العسكرية، هم ذو قدرات عقلية

---

(٤٣) نعمت الله مظفر پور، منبع پيشين، ص١٦٦.

(٤٤) طه باقر، المصدر السابق، ص٤٠٨ - ٤١٦.

(٤٥) كارل بروكلمان، تأريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة، تموز ١٩٦٨، ص٢٦٠ – ٢٨٠.

(٤٦) كلير شجاعي فرد، سلسلةها اسلامي در ايران ومسئله مشروعيت، مجلة اطلاعات سياسي اقتصادي، شمارهء: ١٥٣ – ١٥٤، فرداد ١٣٧٩ (٢٠٠٠) سال چهاردهم، ص٤٠ – ٤٢.

هزيلة وقساة القلوب، وفاقدون للأريحية، وهم مؤمنون بأنهم يبزون اقرانهم من شعوب المنطقة في قدراتهم العقلية. والايرانيون باختصار يشعرون بنوع من النخوة ومطمأنون عن تفوقهم الثقافي.[٤٧]

قد تتضمن وجهة نظر فولير هذه الكثير من المبالغة، اذ من الصعب التحقق من مثل هذه الاتجاهات والقناعات الثقافية التي تسود في مجتمع ما من دون اللجوء الى الطرق العلمية الموضوعية المستخدمة في مسح الاتجاهات والميول والرغبات في المجتمع والتي يتبناها الباحثون في علم الاجتماع وغيره من العلوم الانسانية، وهذا ما لم ينجز في المجتمع الايراني المعاصر.

غير ان وجهات نظر مشابهة يجدها الباحثون في مختلف المصادر التأريخية التي تعود الى القرون الهجرية الأربعة الأولى. حيث نلاحظ نوعاً من النظرة الاستعلائية لدى النخبة الفارسية المثقفة، والتي اصبحت تعرف باسم ((الشعوبية)) والتي جاءت في الواقع كرد فعل للمارسات الاستعلائية التي اتسم بها الحكام العرب الذين غزوا ايران وفرضوا سلطتهم على الشعوب الايرانية[٤٨]، منذ ايام الخليفة الثاني وحتى العصر العباسي الثاني، فاستخفوا بلغات تلك الشعوب وبثقافاتها، وغيروا الكثير من مظاهر حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عنوةً وباستعمال مختلف وسائل القمع والاكراه.[٤٩]

وفي كل الأحوال، فان مما لاشك فيه ان تأريخ ايران السياسي قد القى بثقله بشكل او آخر ولازال على ذهن صانعي القرار في ايران الاسلامية، فجعلهم يشعرون بالزهو والافتخار بماضيهم.[*]

ان الأثر الذي يمارسه الأمجاد التأريخية على ممارسات القادة السياسيين وعلى طريقة رسمهم للسياسة الخارجية، لاينحصر فقط في صنع نموذج لدولة ذات هيمنة اقليمية تسعى القيادة الايرانية الاحتذاء بهذا النموذج، بل ومن جهة اخرى فان هناك حقائق في الجغرافية السياسية تفرض نفسها على ايران كدولة، وذلك بصرف النظر عن تغيير الأنظمة السياسية والاجتماعية التي تتولى الحكم. فكما ان حقائق الجغرافية السياسية كانت تتطلب من ايران خلال القرون الوسطى مثلاً ان تضمن لنفسها التحكم في طرق تجارة الحرير الذاهبة الى اوربا، فان ايران المعاصرة تهمها ايضاً منابعها النفطية وطرق مواصلاتها واسواقها.[٥٠] ولعل تهديدات ايران الحالية التي نلاحظها اليوم بين فينة واخرى، ومن خلال مختلف وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، والتي تؤكد فيها ايران بأنها سوف تغلق مضيق هرمز اذا تعذر عليها تصدير نفطها من خلال هذا المضيق، هي خير مثالعلى انه مع مرور مئات

---

(٤٧) گراهام فولير، منبع پيشين، ص٢١.

(٤٨) رياض قاسم، بيان الارث المشترك بين العرب والايرانيين في ظل الدولة الاسلامية، العلاقات العربية الايرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يوليو ١٩٩٦، ص١٠١.

(٤٩) طه حسين، في الادب الجاهلي، الطبعة الثالثة، مطبعة فاروق، القاهرة، ١٩٣٣، ص ١٦٦-١٦٨.

(*) يروى ((ايريك رولو)) الصحفي والمثقف الفرنسي حادثة جرت معه واستخلص منها نتيجةً تشير الى ان الخميني كان قومياً ولم يكن زعيماً دينياً. فقد ذكر ((ايريك رولو)) بأنه في مقابلة صحفية مع الخميني في اوائل الثورة، طرح على الخميني اسئلة بالعربية، لأنه كان يظن بأن الخميني يجيد العربية، ولكن الخميني طلب من ((قطب زاده)) ان يترجم اسئلته الى الفارسية فيجيب عليها بالفارسية. ويضيف رولو بأن الخميني لم يجب على اي من اسئلتي العشرة. ويذكر ان ((ايريك رولو)) يجيد العربية ويتحدث بها بطلاقة.

للمزيد من المعلومات بشأن هذا اللقاءن يمكن الرجوع الى نص مقابلة خالد الرشيد من قناة روسيا الفضائية المعروفة بروسيا اليوم RTV مساء ٢٠١٢/٩/١٨.

(٥٠) وجيه كوثراني، بيان الارث المشترك بين العرب والايرانيين، المصدر السابق، ص٩٦.

من السنين فان عوامل الجغرافية السياسية المتمثلة في اهمية الموقع الجغرافي وما يتصل به من طرق المواصلات البحرية منها والبرية، لنقل السلعة الرئيسية التي تنتج في ايران الى اسواقها، في الشرق كانت تلك الاسواق ام في الغرب.

فان تضمين سلامة طرق المواصلات التجارية وتضمين الاسواق للسلعة الرئيسية التي يعتمد عليها الاقتصاد الايراني كان ولازال يتطلب نوعاً من الهيمنة، ونوعاً من مناطق النفوذ في هذه المنطقة الجغرافية، المترامية الأطراف، والمعروفة بالشرق الأوسط وامتداداتها حتى تخوم الهند.

والخلاصة ان التأريخ السياسي المتمثل في ان هضبة ايران كانت طوال مايقارب ثلاثة آلاف سنة مركزاً لامبراطورية مترامية الأطراف -وان كان ذلك في فترات متقطعة- ولابد لهذه الحقيقة التأريخية ان تشكل نوعاً من الخلفية الفكرية لكل من يقبض على زمام الحكم في هذه البلاد، فيسعى جاهداً لأن يتمتع بنوع من الهيمنة السياسية في منطقة واسعة من شرقي البحر المتوسط، سواءاً تم ذلك عن طريق مايعرف بتصدير الثورة، او من خلال خلق النموذج الأمثل لدولة اسلامية ناجحة والى جانب الأثر الذي يمارسه امجاد التأريخ الامبراطوري في خلق ارضية مناسبة لدى القيادة الايرانية لكسب نوع من الهيمنة الاقليمية.

ثالثاً: الحساسية تجاه عدد من القوى العالمية الكبرى:

ليس هناك في تأريخ علاقات ايران مع الدول الكبرى خلال القرنين الأخيرين مايبعث على الاطمئنان، بل وتكمن في ثنايا هذه العلاقات الكثير مما يثير المخاوف والشك والريبة، والكثير مما يدعو الى الحذر وعدم الاطمئنان من كل الخطط والمواقف التي تظهرها هذه الدول تجاه ايران. ومن هذه الدول بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية وذلك حتى الحرب العالمية، وبعدها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بدرجات متفاوتة ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية. اما بالنسبة لايران الاسلامية التي ظهرت الى الوجود في شباط ١٩٧٩ فان كل هذه الحساسيات اصبحت تتمركز حول الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى، ثم حول حلفائها الاوربيين بالدرجة الثانية.

لذلك اصبح البحث عن حلفاء سياسيين على المستوى الاقليمي والدولي وكسب ودهم، وسواء اكان الحلفاء على شكل دول مستقلة او على شكل حركات او احزاب او منظمات سياسية، احدى الوسائل الرادعة التي من الممكن لايران الاسلامية ان يتسلح بها في صراعها المستديم مع الولايات المتحدة وحلفائها الاوربيين. وقد ركزت القيادة الايرانية في بحثها عن توسيع نفوذها السياسي على العامل المذهبي اكثر من اي عامل آخر، وهذا ما سيتضح لاحقاً.

والواقع ان الحساسية المفرطة تجاه القوى العالمية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وحلفائها لاسيما دول اوربا الغربية، قد تجاوزت جميع الحدود المتعارف عليها في العرف الدولي، والتي كانت احتلال السفارة الأمريكية في طهران واخذ منتسبيها كرهائن لمدة ٤٤٤ يوماً ابرز مثال على ذلك[٥١].

ولعلنا لانجانب الصواب اذا قلنا بأن مظاهر الخصومة مع القوى الكبرى والوقوف في وجه سياستها الخارجية ولاسيما تلك المتعلقة بالشرق الأوسط قد تحولت فعلاً الى نوع من الرهاب phobia. ويتخذ صانعوالقرار السياسي في القيادة الايرانية من هذه الخصومة كاحدى الذرائع التي تدفع بايران الى ان تبذل قصارى جهدها في السياسة الخارجية لاقامة تحالف راسخ مع عدد من دول المنطقة الى جانب البعض من الحركات والأحزاب السياسية الفاعلة، والتي

[٥١] روح الله رمضاني، همان منبع پيشين، ص٦٢.

تتسم بطابع مذهبي متميز. وهي جهود ترمي الى خلق شيء من الهيمنة الاقليمية في المنطقة. والسؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد هو:

اين تكمن جذور كل هذه المواقف العدائية التي تتخذها ايران لاكثر من ثلاثة عقود نحو القوى الكبرى. ولايتسنى لنا الاجابة على هذا السؤال الا من خلال قراءة متأنية لتأريخ ايران السياسي طوال هذه الحقبة التأريخية، حيث تحولت ايران فعلاً الى ميدان للتصارع بين بريطانيا العظمى التي كانت تجاور ايران خلال تواجدها في الهند، وبين روسيا القيصرية. لذلك يحاول البحث تحليل العوامل التأريخية والجيوستراتيجية التي خلقت لدى هاتين القوتين شراهة مفرطة لايجاد مناطق نفوذ لها داخل ايران، مما خلق لدى حكام ايران هذه الشكوك والمخاوف من القوى الكبرى وعلى النحو التالي:

اولاً: أطماع الجارة الشمالية في ايران:

هناك اجماع بين المؤرخين وغيرهم من باحثي العلوم السياسية على ان روسيا وطوال القرون الثلاثة الأخيرة، كانت تحمل سياسة تهاجمية تجاه ايران، فقد كانت لروسيا طموحات اقليمية واقتصادية واسعة وغير قابلة للاشباع، وذلك كجزء من استراتجيتها القائمة على الوصول الى المواني‌ء الدافئة في المياه الدافئة Warm Water.[٥٢] وكانت سياسة روسيا طوال هذه الفترة تتمثل في ممارسة المزيد من الضغط والزحف جنوباً على حساب جارتها الجنوبية، وقد نجحت روسيا في تحقيق مكاسب اقليمية واسعة داخل اراضي ايران، بل وقد وصلت اجتياحات روسيا لاراضي ايران الى مقاطعة طةيلان جنوبي بحر قزوين، والتي احتلتها روسيا ايام بطرس الكبير عام ١٧٢٧.[٥٣]

وللتعرف على حقيقة اهداف روسيا الاستراتيجية في ايران، ومن دون الدخول في تفاصيل الاوضاع التأريخية، تكفي الاشارة الى البنود الرئيسة لما يعرف بوصية بطرس الكبير، والتي جاء فيها: ((على روسيا ان تبذل قصارى جهدها للاقتراب من القسطنطينية (استانبول الحالية) والهند ومن يتحكم في هذه المنطقة فانه يملك العالم باسره. عليه فمن اجل تحقيق هذا الهدف فان على روسيا ان تشن حروباً مستديمة ليست على تركيا فقط، بل وعلى ايران ايضاً، ولكي نمدد من نفوذنا الى الخليج الفارسي فلابد لنا من التغلب على ايران)).[٥٤] ولان التحكم في الخليج الفارسي اسهل واضمن من التحكم على البحر المتوسط والوصول الى الهند.[٥٥]

لذلك يمكننا القول بأن قياصرة روسيا، ومنذ ايام بطرس الكبير فصاعداً وحتى سقوط هذا النظام، وقيام الاتحاد السوفيتي بعد اكتوبر ١٩١٧، ظلوا يخططون لاقتطاع اقسام من ايران باستمرار، مدفوعين بدوافع جيوبوليتيكية، فاثاروا بذلك حفيظة كل من بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا، والتي حاولت بشتى الوسائل ايجاد

---

[52]George Lenczowski, Russia and the West in Iran, 1918 – 1948, Astudy in Big Power Rivalry, Ithaca, New York, 1949, p.2.

([53]) George Lenczowski, Ibid, p3.

([٥٤]) پيو كارلو تيرنزيو، رقابتها روس وانگليس در ايران وافغانستان، شركت انتشارات علمى وفرهنگى، وزارت فرهنگ و ئاموزش عالى، چاپ دوم، تهران، ١٣٦٣، ص٣١ – ٣٢.

([٥٥]) احمد تاج بخش، سياستهاى استعمارى روسيه تزارى، انگلستان وفرنسه در ايران، چاپ اول، مؤسسه اقبال، تهران ١٣٦٢ (١٩٨٣)، ص١١.

موطأ قدم لها في هذه البلاد ذات المزايا الاستراتيجية والجيوستراتيجية والجيوبوليتيكية المتباينة، وبهدف خلق نوع من توازن القوى مع جارة ايران الشمالية.

وبحكم القرب الجغرافي فان روسيا كانت لها اليد الطولى في اكتساب المزيد من الأراضي التي كانت جزءاً من ايران. فبموجب اتفاقية طلستان عام ١٨١٣ تنازل شاه ايران عن كل من جورجيا واجزاء واسعة من آذربيجان، لصالح روسيا وتعهد بأن لايكون لبلاده اسطول في بحر قزوين، فاصبح البحر روسياًبالكامل. ثم هزم الشاه في حرب ثانية مع روسيا، وفرضت عليه اتفاقية ((تركمان چاى)) عام ١٨٢٧، فتنازلت ايران عن مقاطعة ارمينيا لروسيا.[٥٦]

غير ان اول موقف للاتحاد السوفيتي تجاه ايران فكان اعلان من السلطة السوفيتية الجديدة في عام ١٩١٨، بأن السوظيت يرفضون كل امتياز لهم في ايران يعود الى ايام روسيا القيصرية، كما الغوا اتفاقية عام ١٩٠٧ والتي كانت تمنح روسيا نفوذاً واسعاً داخل الجزء الأكبر من اراضي ايران الوسطى والشمالية.(ينظر الخارطة ٣).[٥٧]

ومع ذلك فان حقائق الجغرافية السياسية للجارة الشمالية والمتمثلة في كونها اكبر كتلة برية مساحةً، تحيط بها اما مياه متجمدة طوال العام كما في المحيط المنجمد الشمالي، او بحار تتجمد مياهها في اشهر من السنة كما في سواحلها الغربية على بحر البلطيق، او سواحلها الشرقية شمالي المحيط الهادي، فان هذه الحقائق املت حتى على القيادة السوفيتية، مواقف سياسية لاتختلف كثيراً عن اطماع اقليمية واسعة حلم بها بطرس الكبير ومن خلفه من القياصر الروس حتى سقوط نيقولاي الثاني في اكتوبر ١٩١٧.[٥٨]

فقد وصف احد الكتاب السوفيت ايران على انها شبيهة بقناة السويس للاتحاد السوفيتي لذلك على الجيش الأحمر ان يتولى فرض السيطرة عليها. وهناك مايشير الى ان معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء الذي عقد بين هيتلر وستالين عام ١٩٣٩ كانت تتضمن بنداً يمنح للاتحاد السوفيتي الحق في بسط سيطرته على المناطق الممتدة من مدينة باكوعلى بحر قزوين الى المحيط الهندي واجزاء من ايران والعراق وشبه جزيرة العرب والخليج الفارسي.[٥٩]

ومهما كانت محاولات مختلف الدول لبسط نفوذها داخل ايران، فان روسيا تبقى الدولة ذات التغلغل الاوسع في داخل الاراضي التي كانت جزءاً من سيادة ايران، حيث نجحت روسيا طوال صراعها الطويل مع ايران من ان تستقطع جورجيا وارمينيا وآذربيجان وقفقاسيا الجنوبية من ايران. ومن جهة اخرى لم تجد امامها شيئاً تقف في وجهها وتمنعها من التدخل في شؤون ايران الداخلية، ولاتدانيها في ذلك غير بريطانيا العظمى وحتى الثمانينات من القرن الماضي حيث اطلق الخميني على الولايات المتحدة لقب ((الشيطان الأكبر)) وبعدها اصبحت ((كرملن)) بمثابة شيطان اصغر.[٦٠]

---

(٥٦) ابراهيم شريف، الشرق الأوسط، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، ١٩٦٥، ص٥٩.

(57) George Lenczowski, op.cit, p.48.

(58) N.Marbury Efeminco, World Political Geography, 2nd Edition, Thomas Y.Crowell co, New York, 1962, p.230.

(٥٩) گراهام فولير، قبله عالم – ژئوپوليتيك ايران، منبع پيشين، ص١٥٩ – ١٦٠.

(٦٠) آلا سداير در ايسدل وجيرالد بليك، جغرافياى سياسى خاورميانه وشمال افريقيا، ترجمه دره مير حيدرى، چاپ چهارم، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي، تهران ١٣٧٤، ص٨١.

الخارطة رقم (٣)

تقسيم ايران الى المنطقتين للنفوذ السوفيتى الى الشمال والنفوذ البريطانى الى الجنوب (١٩٤١ – ١٩٤٥)

المصدر/ ألاسداير درايسديل، جيرالدبليك، ترجمة: درة مير حيدرى (مهاجرانى)، وزارت خارجه دفتر مطالعات سياسي و بين المللى، مركز مطالعات خليج فارسى، ١٣٧٤، ص٧٦.

واذا كانت سياسة الاتحاد السوفيتي تقوم -من حيث المبدأ- على عدم التدخل في شؤون ايران الداخلية، فان واقع تطور العلاقات بين الجارتين، وحتى عام ١٩٩٠ حيث انهار الاتحاد السوفيتي،لم يكن دائماً على مايرام.

ففي عام ١٩٤١ تم تقسيم ايران من جديد الى منطقتين للنفوذ، المنطقة الشمالية منها وهي منطقة النفوذ الروسي، والمنطقة الجنوبية وهي تشمل على ثلاثة ارباع مساحة ايران، فكانت تمثل منطقة النفوذ البريطاني فكانت مدينة طهران هي المنطقة الوحيدة التي بقيت خاضعة لشاه ايران. (ينظر الخارطة ٤).

وهكذا فقد بلغ تدخل الاتحاد السوفيتي في شؤون ايران الداخلية ذروته عند نهاية الحرب العالمية الثانية. حيث ساعدت القوات السوفيتية الكرد في مدينة مهاباد واطرافها، والآذريين في آذربيجان الشرقية، في اقامة جمهورية ذات الحكم الذاتي خاصة بالكرد وعاصمتها مدينة مهاباد، وجمهورية اخرى خاصة بالآذريين وعاصمتها مدينة تبريز

عام ١٩٤٦ وذلك في المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ السوفيتي. (ينظر الخارطة ٣). وقد انهارت كلتاهما بعد انسحاب الجيش الأحمر من جميع الأراضي الايرانية التي كانت خاضعة للسوفيت.[٦١]

وكان السوفييت يهدفون من وراء دعمهم للكرد، كسب صداقة الكرد في كل من العراق وتركيا الخاضعتان للنفوذ الغربي، مما يضعف من معاداة هاتين الدولتين للاتحاد السوفيتي.[٦٢]

والى جانب هاتين المحاولتين البارزتين، لأكبر مجموعتين قوميتين بعد المجموعة الفارسية، وهما المجموعة الكردية والمجموعة الآذرية، لنيل نوع من الاستقلال عن المركز وتحت مظلة الجيش الأحمر السوظيتي.كانت هناك محاولات اخرى من جانب بعض الأقليات القومية الأخرى التي تتألف منها الفسيفساء القومي المعقد لايران، وذلك بهدف الانفلات من قبضة المركز السياسية الاقتصادية، وبدعم من الجيش الأحمر السوفيتي، ومنها محاولة اقامة جمهورية خوراسان وگرگان في شمال خوراسان عام ١٩٤١ ومحاولة اقامة جمهورية طبرستان في طيلان ومازندران وجمهورية خوزستان العربية في نفس العام وذلك بتشجيع وتحريض من الاتحاد السوفيتي خلال سنوات الحرب العالمية الثانية.[٦٣]

كل هذه المواقف لابد وانها قد تركت آثاراً سلبية عن الاتحاد السوظيتي (الجارة الشمالية) في اذهان القيادة الايرانية الجديدة. فالموقف المتشدد للخميني تجاه الانتفاضة الكردية في السنة الأولى من الثورة، ورفضه لكل المطالب القومية والثقافية للكرد، كان يعود بجذوره الى محاولة الكرد اقامة جمهورية كردستان ذات الحكم الذاتي عام ١٩٤٦ بدعم من السوظيت.[٦٤]

ان قمع حزب ((تودة))[*] الماركسي واعتقال قادته، واجبارهم عل الظهور على شاشات التلفزيون، والاقرار بأنهم جواسيس للاتحاد السوفيتي وانهم خانوا وطنهم وكان ذلك شكلاً من اشكال الوقوف ضد توسع النفوذ السوفيتي بكل اشكاله داخل ايران، ويعبر عن مخاوف قادة ايران من هيمنة الجارة الشمالية.[٦٥]

ان الجوار الجغرافي بين ايران بمزايا موقعها الجغرافي والجيوستراتيجي وامتلاكها لجبهة بحرية طويلة على الخليج الفارسي والمحيط الهندي، وماتعنيه هذه الجبهة البحرية للمياه الدافئة، لقوة تعد احدى اكبر القوى الدولية في العالم واكثرها اندفاعاً نحو هذا النوع من المياه لأسباب معروفة، كل ذلك جعلت من ايران هدفاً لاطماع الجارة الشمالية لاحدود لها، واصبح الخوف من هذه الأطماع هاجساً دائماً يهيمن على الفكر السياسي لحكام ايران بمن فيهم قادة ايران الاسلامية.

([61]) Mehrdad R.Izady, The Kurds-A concise Handbook, Taylor and Francis, London, 1992, p.65.

([62]) Hassan Arfa, The KURDS, An Historicak and Political Study, London, Oxford University press, 1966, p.71.

([٦٣]) سيد حسن امين، تأريخضة جمهورى خواهى در ايران، مجلة اطلاعات سياسى اقتصادى، العدد ١٧٢، شركت ايران چاپ، مؤسسة اطلاعات، سال شانزدهم، ١٣٨٠ (٢٠٠١)، ص٨٦ – ٨٧.

([٦٤]) ديليث هيرو، ايران در حكومت روحانيون، ترجمة: محمد جواد يعقوبي دارابى مركز باز شناشى اسلام در ايران، انتشارات باز، ١٣٨٦ (٢٠٠٧)، ص٢٢٠.

([*]) حزب توده هو الحزب الذي يتبنى الفلسفة الماركسية - اللينينية كنهج سياسي واجتماعي واقتصادز وهو يعد من اقدم الأحزاب الشيوعية في الاشرق الأوسط. حيث ظهر الحزب الى الوجود عام ١٩٢٠.

([٦٥]) ديليث هيرو، همان منبع ثيشين، ص٣٢٦.

الخارطة رقم 4

الهلال الشيعي في قلب الشرق الاوسط

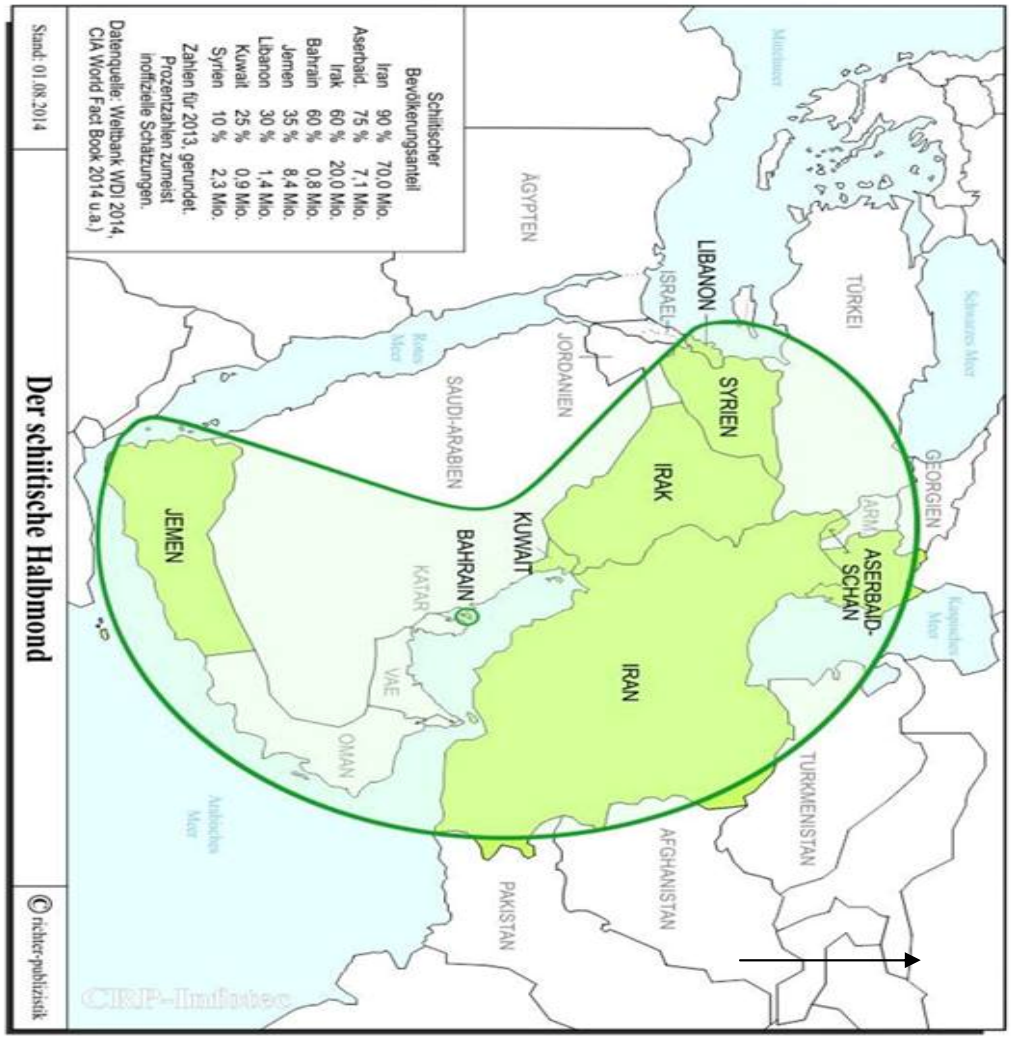

مصدر الخارطة:

من اعداد الباحثين بالاعتماد على موقع الالماني للسياسة و التاريخ على الاينترنت:

http://www.crp-infotec.de/03welt/nahost/basis_nahost.html

فاذا اضفنا الى هذه الهواجس التي يشعر بها صانع القرار السياسي في ايران، الارث التأريخي الثقيل من التدخل الروسي الطويل في شؤون ايران الداخلية، لأدركنا حجم المخاوف والشكوك التي تراوده تجاه الجارة الشمالية الأقوى. وكرد فعل طبيعي على هذه الأطماع، فان قادة ايران الاسلامية بدأوا يبحثون عن مواطيء قدم لهم بين دول المنطقة. وذهبوا منذ البداية الى ابعد من ذلك عندما حاولوا استعمال كل الوسائل المتاحة لاقامة تحالفات ستراتيجية مع بعض القوى والحركات الناشطة على المسرح السياسي في بعض دول المنطقة، والتي يقفون معها على ارضية مشتركة من المعتقدات المذهبية والدينية كما في حالتي حزب الله في لبنان وحركة حماس في غزة بفلسطين، وذلك بهدف تعزيز مكانة ايران الجيوبوليتيكية، وحتى لاتقف وحيدة ومعزولة تنفرد بها القوى الطامعة عالمية كانت ام اقليمية. وقد كانت سنوات الحرب العراقية - الايرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) تجربة متميزة لايران حيث لم تجد

قوة تقف الى جانبها باستثناء الرئيس السوري حافظ الأسد ذو الاصول العلوية، والذي كان يجمعه مع حكام ايران الجدد، معاداتهم مع الرئيس العراقي ونظامه.

وعلى الرغم من ان القيادة الايرانية الجديدة تجد اليوم نفسها في جبهة واحدة مع روسيا الاتحادية، وهي مرغمة بسبب من الاستقطاب الجديد الذي برز على السطح اثر انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠، الذي نجم عنه انتهاء الحرب الباردة،وتحول العالم الى عالم ذو قطب واحد، ولكن هذه القيادة لاتزال غير مطمئنة من صانعي القرار في الكرملن،وينظرون بعين الشك الى نواياهم.فلايزال شعارهم المركزي في السياسة الخارجية هو نفس الشعار الذي اطلقه الخميني في بداية الثورة وهو: ((نه شرقي نه غربي، جمهوري اسلامي))، وهو الشعار الذي لايزال يتصدر بوابة وزارة الخارجية الايرانية في طهران.

غير ان بعض الباحثين المتفائلين يرون بأن ايران في علاقاتها مع الجارة الشمالية، وبعد انتهاء الحرب الباردة، قد تخلصت وان بشكل ظاهري، من الخطر الداهم والقادم من الجارة الشمالية، وللمرة الاولى منذ عدة قرون لم تعد ايران دولة حائلة A Buffer State بين القوى البحر القادمة مما وراء البحار، وبين قوى البر، اي روسيا القابعة في الشمال.[٦٦]

والخلاصة ان روسيا ومنذ ايام بطرس الكبير (١٦٧٢ - ١٧٢٥) على اقل تقدير كانت تشكل خطراً مسلطاً على ايران، وظلت كذلك حتى الخمسينات من القرن الماضي. وهذا ماخلق هاجساً لكل السلالات التي تولت الحكم في ايران حتى سقوط الشاه. كما ان رجال الدين الذين تبنوا نظرية ولاية الفقيه كنهج لحكم ايران بعد سقوط الشاه، لم يجدوا امامهم من المعطيات الجيوبوليتيكية مايقنعهم بأن ذلك الخطر الداهم الذي ظل يخيم على ايران طوال القرون الثلاثة الأخيرة،لم يتبدد، فظل خطر الجارة الشمالية يشكل هاجساً لديهم، وكان ذلك دافعاً قوياً الى جانب دوافع اخرى، لكي يبذلوا ما في وسعهم من جهود، لكسب حلفاء لهم، سواءأعلى شكل دول حليفة او حركات او احزاب صديقة، لكي تكون عوناً لها في مواجهتها للقوى العالمية الكبرى. وقد تيقنت هذه القيادة الجديدة من ان العامل المذهبي سيبقى العامل الأكثر فعالية في خلق هكذا جبهة. تستطيع الوقوف في وجه الاطماع الاقليمية للقوى العالمية الكبرى، ومنها روسيا السوفيتية او الاتحادية، وان كانت خطورة الجارة الشمالية في العقود الثلاثة الأخيرة على ايران لايمكن مقارنتها بخطورة قوى (المعسكر الغربي الذي يتألف من الولايات المتحدة الأمريكية ((الشيطان الأكبر))[*] وبريطانيا)، في نظر قادة ايران.

ثانياً- جذور الكراهية نحو كل من بريطانيا وامريكا:

ان محاولات بريطانيا العظمى للتغلغل داخل ايران والذي استمر لما يقارب من قرنين وتوج بتشطير ايران مرتين بينها وبين روسيا عام ١٩٠٧ وبينها وبين الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١، قد حولت ايران الى دولة شبه مستعمرة عملياً Semi Colonialوان كانت مستقلة اسمياً[٦٧]، كانت من بين العوامل التي دفعت حكام ايران طوال القرن

([٦٦]) محمد رضا حافظ نيا، جغرافياى سياسى ايران، چاپ وصحافى وزارت فرهنط وارشاد اسلامى، تهران، چاپ اول، پاييز ١٣٨١ (٢٠٠٢)، ص٧٤ – ٧٥.

([*]) الشيطان الأكبر اسم اطلقه الخميني على الولايات المتحدة المريكية.

([67]) Lucile Carlson, Geography and World Politics, Prentice – Hall, INC, Englewood Cliffs, N.J. 1960, P.433 – 4354.

الماضي لكي ينظروا بحساسية مفرطة الى بريطانيا في علاقاتهم الخارجية. وقادة ايران الاسلامية يفوقون من سبقهم من حكام ايران، في شكوكهم ومخاوفهم من تواجد اي نفوذ بريطاني في ايران وفي المنطقة، ولاسيما في الخليج، ويرون في ذلك عقبة كأداء في وجه طموحاتهم الاقليمية الرامية الى تبوء مكانة متميزة كاحدى اكبر قوة اقليمية في هذا الجزء من جنوب غرب آسيا وشرقي البحر المتوسط.

ان تغلغل النفوذ البريطاني لايمكن فصله بأي شكل من الأشكال عن تغلغل الجارة الشمالية داخل ايران، واذا كان هذا الصراع من اجل بسط النفوذ على ايران بين هاتين القوتين الكبيرتين قد اوصل ايران في بعض مراحلها التأريخية الى دولة شبه مستعمرة وفاقدة لسيادتها، فان هذا الصراع قد صان ايران من ان تنفرد بها احداهما، ومكن ايران من الوقوف على قدميها وان تلعب دور الدولة الحاجزة بين روسيا من الشمال وبريطانيا من الجنوب، فحفظت التوازن بينهما، ونجحت هي وفي ظل توازن القوى بين الدولتين من ان ترسم حدودها التي تم تثبيتها بصورة رسمية.[٦٨]

غير ان بريطانيا قد وجدت نفسها اوائل القرن الماضي كأكبر قوة دولية في الشرق الأوسط، فسارعت الى فرض سيطرتها على ايران. ولاسيما بعد ان تنازل قادة العهد الجديد في روسيا عن حقوقهم الاقليمية في ايران وذلك بعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧. لذلك انتهزت بريطانيا فرصة جلاء القوات الروسية عن ايران، فسارعوا الى بسط نفوذهم عليها، لتملأ الفراغ الذي تركته القوات الروسية في ايران وبذلك قاموا بتمصير ايران، اي تحويلها الى مصر اخرى. وبذلك تحولت ايران فعلاً الى محمية بريطانية.[٦٩] اي الى دولة تخدم المصالح البريطانية بالدرجة الأولى كما يقول المؤرخ الروسي آغا ييف.[٧٠]

ويرى الكثير من الباحثين بأن اطماع الدول الكبرى في ايران ولاسيما الأطماع الروسية والبريطانية والتي لم تعد فقط اطماعاً ستراتيجية وجيوبوليتيكية، بل اضيفت اليها ايضاً اطماعاً جيوستراتيجية تتمثل في الحصول على الامتيازات التي تسمح لها بالبحث عن البترول واستخراجه، وذلك منذ العقد الأول من القرن الماضي. اذ بدأت تظهر البوادر التي تشير الى ان البترول لايلبث ان يحل محل الفحم كمصدر رئيسي للطاقة، الأمر الذي ساعد على تزايد مستمر لأهمية هذا المصدر الجديد للطاقة، ومن جهة اخرى شدد من تكالب الدول على منابع وحقول هذا المصدر للطاقة.[٧١] وكانت ايران بالطبع احدى اهم المصادر التي تمتلك هذا النوع الجديد من الطاقة عند بدايات البحث عن مواقع وجود البترول في منطقة الخليج. وقد كانت امتيازات البترول والحفاظ عليها من بين العوامل التي دفعت ببريطانيا لكي تتقاسم ايران مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ للمرة الثانية خلال اقل من اربعة عقود. وقد كان فرض هيمنة دولتين من القوى العالمية على ايران ومحق سيادتها القومية، سبباً مباشراً من اسباب نفور

---

(٦٨) محمد رضا حافظ نيا، منبع پيشين، ص٥٧.

(٦٩) ابراهيم شريف، الشرق الاوسط، دراسة في اوضاعها السياسية، المصدر السابق، ص١٣١.

(٧٠) فرح صابر، مدخل الى تأريخ الامتيازات الغربية في الشرق الأوسط - نظام الامتيازات الأجنبية في ايران أ نموذجاً، دار الكتاب العربي بغداد، مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ص٩٣.

(٧١) فيروز حسن حمه عزيز، الأهمية الجيوستراتيجية لكردستان الجنوبية وانعكاساتها على السياسة البريطانية تجاهها (١٩١٤ – ١٩٢٤)، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٨، ١٧٢–١٧٣. (للمزيد من المعلومات بهذا الصدد يمكن الرجوع ايضاً الى:
Christopher Catherwood, Imperialism and the creation of Modern Iraq, USA, P.136.

الفرد الايراني من الأجانب وغدت ا المشاعر العدائية تجاه البريطانيين خاصة والغربيين بصورة عام و عميقة الى حد كبير.[٧٢]

ان مثل هذه المشاعر العدائية تجاه بريطانيا قد بلغت اوجها عام ١٩٤٩، حيث اقدم محمد رضا شاه على حل جميع الاحزاب والحركات البرجوازية والدينية والارستقراطية وحزب ((توده)) (الحزب الشيوعي)، اثر اعلان الأحكام الحرفية ومنع الصحف من النشر. الأمر الذي اسفر عن اجبار الشاه على الاذعان لمطالب الشعب الايراني لكافة طبقاته، فعهد الى الدكتور محمد مصدق زعيم الحركة الوطنية الى تولي منصب رئيس الوزراء في مايو آيار ١٩٥٠. وما لبث مصدق ان اعلن عن تأميم النفط في ايران عام ١٩٥١.[٧٣] وكانت هذه اول تجربة من نوعها لضرب مصالح القوى الكبرى، يقوم بها شعب من شعوب الشرق الوسط.

ان الاطاحة بحكومة مصدق في انقلاب عسكري دبرها الضباط الموالون للشاه وبتخطيط وتمويل واشراف من المخابرات المركزية CIA والمخابرات البريطانية MI6 .[٧٤]وكان ذلك ايذاناً ببدأ مرحلة جديدة تلعب فيها قوة عالمية جديدة. وهي الولايات المتحدة الامريكية، دوراً متميزاً في احداث ايران الداخلية ومواقفها وعلاقاتها مع العالم الخارجي.

اما بخصوص مشاعر العداء والكراهية نحو الولايات المتحدة الامريكية فانها بدأت بالظهور على السطح اثر اسقاط تجربة مصدق بتظافر من جهود المخابرات الامريكية والبريطانية. فاذا كانت مشاعر الكره ضد الاجانب متمركزة ضد البريطانيين حتى عام ١٩٥١ حين اقدم مصدق على تأميم النفط، فان هذه المشاعر العدائية بدأت تتحول نحو قوة عالمية كبرى جديدة هي الولايات المتحدة الامريكية، واستمرت هذه المشاعر بين مختلف القوى السياسية نحو هذه القوة الجديدة التي بدأت ترث بريطانيا في كثير من مناطق نفوذها في الشرق الأوسط ومنها ايران. لذلك كانت الشعارات المعادية للأجانب من بين المظاهر السياسية التي سادت اجواء مابعد الثورة على الشاه عام ١٩٧٩.ولكنها هذه المرة كانت موجهة ضد الولايات المتحدة الأمريكية.[٧٥] وظلت كذلك حتى الآن وان كان رفع الشعار ((الموت لأمريكا –مرگ بر امريكا)) يجري من خلال مختلف القنوات الرسمية فقط، ذلك لأن الأوساط الشعبية لم تعد تؤمن به، ولم تعد الأوساط السياسية المعارضة تقتنع به. وكأنها تردد ماقاله المرجع الديني المعروف أية الله المنتظري المعارض للنجاح الحاكم: انه لمن الخطأ ان تحول الأوساط الحاكمة شعار ((الموت لأمريكا)) الى ركن سادس من اركان الاسلام.[٧٦]

ان تمسك صانعي القرار في ايران وعلى راسهم ((المرشد الأعلى)) بهذا الشعار لمدة تزيد عن اثنتين وثلاثين سنة، يشير الى عمق الكراهية التي تحملها قادة ايران الاسلامية تجاه الولايات المتحدة الامريكية. واذا كان مثل هذا الشعار يجد صدى له لدى الجماهير الايرانية في السنوات الأولى من الثورة، فان جذابية الشعار بدأت تخبو شيئاً فشيئاً لدى رجل الشارع الايراني الى درجة لانغالي اذا قلنا بأن هذا الشعار قد فقد كل بريق له لدى

([٧٢]) Lucile Carlson, op. cit. p.433 – 434.

([٧٣]) آمال السبكي، المصدر السابق، ص١٦٩ – ١٧١.

([٧٤]) ديليپ هيرو، منبع پيشين، ص٦١.

([٧٥]) آلاسداير دراسدل و جيرالد بليك، منبع پيشين، ص٨١.

([٧٦]) حجة الاسلام احمد منتظري، پيرامون شعار مرگ برامريكا، سايتى حجة الاسلام احمد منتظري، پيرامون شعار مرگ برامريكا، سايتى www.amontazeri.com

الأوساطالسياسية المعارضة للنظام ولدى اوسع الأوساطالشعبية، التي لم تعد تقتنع بما ترددده وسائل الاعلام الرسمية، صباحاً مساءاً من ان الولايات المتحدة هي مصدر كل البلايا والأزمات وصعوبات الحياة اليومية التي يعاني منها المواطن الايراني.

وقد شكلت حادثة احتلال السفارة الأمريكية في طهران في نوفمبر ١٩٧٩ وحجز العاملين فيها كرهائن من قبل طلاب جامعة طهران، وبموافقة ضمنية من الخميني، ذروة معاداة النظام الجديد للولايات المتحدة، كما ان طلاب الجامعة الذين احتجزوا عاملي السفارة من الأمريكيين كرهائن، قد اصبحوا في نظر العديد من الباحثين، من اوائل صانعي سياسة ايران الخارجية القائمة على التحدي والمواجهة، والتي لاتزال هذه سياسة تجد من يناصرها او يستهدي بها من النخبة السياسية الحاكمة وغيرهم حتى الوقت الحاضر.(٧٧)

ان القيادة السياسية الحاكمة في ايران ترى ان النزاع الأمريكي - الايراني في ابعاده السياسية الاكثر اتساعاً وشمولاً يكمن في وقوف الولايات المتحدة في وجه ايران في كل مايتعلق الشرق الاوسط الكبير. ذلك لأن ايران الاسلامية وفقاً لتصورات كلتا ادارتي بيلكلنتون B.Clinton وجورج بوش الابنG.W.Bush، كانت تشكل اكبر تهديد لمصالح امريكا في الشرق الأوسط والعالم ايضاً.(٧٨) ولم تتغير هذه النظرة تجاه ايران في ادارة اوباما ايضاً، وفي اليوم الثاني من يناير - كانون الثاني - ٢٠١٣ وقع ((اوباما B.Obama)) مع رئيس الوزارء الكندي على اتفاقية التعاون والعمل لابعاد دول امريكا اللاتينية من مختلف اشكال التدخلات التي تقوم بها ايران في الشؤون الداخلية لعدد من دول هذه القارة.(*)

اغلب الظن ان هذه الاجراءات وغيرها من المواقف والجهود المشابهة التي تبذلها الولايات المتحدة لتحجيم نفوذ ايران السياسي، سواءاً في منطقة الخليج او الشرق الاوسط او في اي بقعة من بقاع العالم لم تأتي من فراغ، بل هي تمثل رد فعل مباشر لجهود ايران المستميتة والمستمرة لايجاد مناطق نفوذ لها ليس فقط في عالم الشرق الأوسط وما يحيط بهذا العالم من مناطق ذات اهمية استراتيجية متميزة في شمال افريقيا او آسيا الوسطى، بل في كل قارات العالم.

والذي يلاحظ ان مواقف صانعي القرار السياسي في ايران نحو الولايات المتحدة الأمريكية بقيت كما هي منذ سقوط الشاه وحتى الآن، والتي تتلخص في ان الولايات المتحدة تشكل العدو رقم واحد لايران الاسلامية في جميع الميادين السياسية والاستراتيجية وحتى الاقتصادية والتكنولوجية.

وبالمقابل فان الولايات المتحدة ترى في ايران الاسلامية الخطر الداهم الذي لايهدد فقط دول الخليج العربي او اسرائيل، بل ان ايران تشكل خطراً على الحياة العصرية لسكان العالم المتمدن. وقد لخص الباحث الأمريكي ielDan Pipes المخاوف الأمريكية من ايران على النحو التالي ((ان ايران تشكل حالياً تهديداً دائماً للحياة العصرية لسكان الكرة الأرضية)).(٧٩)

واذا كانت ادارة G.W.Bush قد دأبت على اشاعة اجواء المواجهة المشبعة بروح العداوة والخصومة ضد ايران وسياستها الخارجية، واعتبر بوش ((ايران مع سوريا والعراق وكوريا الشمالية تشكل جزءاً من محور الشر

---

(٧٧) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص٦٢.

(78) Mehran Kamrava, op. cit. p.1.

(*) نقلاً عن وكالات الأنباء والشبكات الفضائية العالمية المعتبرة يوم ٢٠١٣/١/٣.

(٧٩) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص١٢٩. وانظر كذلك

the Axis of Evil))[٨٠]، فان باراك اوباما وعلى العكس من الرؤساء الذين سبقوه، فقد حاول فتح صفحة جديدة من العلاقات الأمريكية-الايرانية وذلك كجزء من سياسة الديمقراطيين الخارجية الهادفة الى تجنيب الولايات المتحدة من التورط في صراعات وحروب خارجية قدر الامكان، والعمل على عدم اقحام هذه القوة العالمية الكبرى بمفردها في البؤر الساخنة والبالغة التوتر كايران ومايشبهها. فحاول (اوباما) وفي عدد من المناسبات ان يفتح صفحة جديدة من العلاقات مع ايران، لعله بذلك ينجح في كسر الجليد الذي يسود العلاقات بين البلدين منذ عام ١٩٧٩، وعلى امل ان تساعده مثل هذه المبادرات في وضع الخطوات الأولى على طريق تطبيق العلاقات الطويل والشاق، ولكنه اخفق في النهاية.

ان توازن القوى الدولية وظهور روسيا الاتحادية كقوة عالمية منافسة للولايات المتحدة في كثير من القضايا الاستراتيجية التي تهم القوتين، وظهور بوادر لعالم ذو قطبين من جدير كما كان الأمر خلال سنوات الحرب الباردة (١٩٤٥-١٩٩٠). اضافة الى المواقف الجديدة التي تتخذها الصين الشعبية في كثير من القضايا والأزمات الاقليمية التي تحدث في الشرق الأوسط بوجه خاص، والتي تتلخص في الانجرار وراء مواقف روسيا الاتحادية[*]، كل ذلك ساعد على بروز استقطاب جديد، مؤلف من قطبين، تقود روسيا ومعها الصين احد القطبين وتقود الولايات المتحدة ومعها اوربا الغربية القطب الثاني.

مثل هذا الاستقطاب الجديد منحت ايران هامشاً اكبر للمناورة، ومنحها القدرة على الافلات من بعض الصعوبات التي تراها ايران جزءاً من مؤامرة دولية تصب في خدمة مصالح اسرائيل والصهيونية العالمية. فايران في سعيها الدائب الى ان تتحول الى قوة اقليمية ذات نفوذ واسع على المستوى العالمي، لاتزال ترى في الولايات المتحدة عدوها الأول، وعلى انها القوة العالمية الأولى التي تبذل كل مافي وسعها لكي تبقى ايران عند حجمها الذي ترتضي لها الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين والاسرائيليين.

ان تحجيم قوة ايران واحتواء نفوذها، والذي تحول الى احدى اهم اولويات الولايات المتحدة في سياستها الخارجية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، انما ينبع من مخاوف الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين من ان تتحول ايران الى قوة تصبح قادرة على تهديد جاراتها ولاسيما دول الخليج العربية الغنية بالنفط والغاز الطبيعي. ولأن الخليج يشكل مصدراً لما يزيد عن ٦٠٪ من النفط والغاز المستهلك في العالم، فان اي خطر يهدد امن الخليج ويمنع الحركة الانسيابية للنفط والغاز والسلع والبضائع تشكل خطاً احمر لايسمح الولايات المتحدة بتجاوزه. ومن هنا يحدث التصادم بين تطلعات ايران الخارجية والرامية الى فرض نوع من الهيمنة على دول المنطقة، ولاسيما الخليجية منها والتي تمثل مناطق رخوة من الناحية الجيوبوليتيكية بسبب ضآلة حجم سكانها، وبين خطط الولايات المتحدة الاستراتيجية، كاحدى اكبر القوى الدولية.

في السطور السابقة تناول البحث بشيء من التفصيل الأسس الطبيعية والبشرية لجغرافية ايران السياسية والتي تشكل احدى المقومات الأساسية لدولة ايران ذات المكانة الاقليمية المتميزة على مر العصور، كما استعرض البحث الخلفية التأريخية لدولة ايران وماتتركه هذه الخلفية من آثار عميقة على اولئك الذين يتولون دفة الحكم في ايران المعاصرة، كما حلل البحث الأسس الآيديولوجية التي تستهدي بها المجموعة التي تقبض على زمام الأمور

([80]) Mehran Kamrava, op. cit. p.9.

([*]) تشكل الصين اكبر دولة في العالم من حيث السكان، وهي تملك ثاني اكبر اقتصاد في العالم، وهي احدى الدول الخمس التي تشكل الأعضاء الدائمة في مجلس الأمن والتي تملك حق استخدام النقض Veto.

منذ اسقاط الشاه وحتى الآن، واخيراً حاول البحث تحليل الأسس التي دفعت بثلاث قوى عالمية وهي روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية الى ان تقوم بالتدخل في شؤون ايران الداخلية والتي ظهر في بعض الفترات على شكل احتلال مباشر لمناطق واسعة من ايران، الأمر الذي وجد فيه البحث دافعاً اساسياً من الدوافع التي تقف وراء الجهود المستميتة التي يبذلها صانعو القرار السياسي في ايران، لكسب مكانة اقليمية متميزة ومؤثرة على الاتجاهات السياسية التي تتخذها دول المنطقة في علاقاتها مع القوى الكبرى والقوى الاقليمية.

اما في الصفحات القادمة فان البحث سيتناول السياسات والخطوات الملموسة التي اتخذتها القيادة الايرانية لخلق مناطق نفوذ لها في المنطقة، والتي تمكنها من ان تلعب دوراً اقليمياً متميزاً، وعلى الضد من مصالح القوى العالمية الكبرى ولاسيما مصالح الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل وحلفائهما في المعسكر الغربي.

استخدام العامل المذهبي والديني لخلق مناطق للنفوذ الخاصة بايران والتي تضمن لها الهيمنة الاقليمية:

١- الأسس المذهبية (الدينية) لتوسيع نفوذ ايران السياسي:

استعرض البحث في صفحاته الأولى بعض الأسس الآيديولوجية التي اتخذت منها القيادة الايرانية الجديدة مسوغات لتبرير منطلقاتها الجيوبوليتيكية لبسط نفوذها السياسي في اطراف من المنطقة المعروفة بالشرق الأوسط. لذلك فان البحث في هذا الجزء سيكتفي بتحليل بعض المفاهيم الآيديولوجية التي تبنى عليها المجموعة التي تصنع القرار السياسي في ايران، تبنى عليها توجهاتها التي تشكل الاطار العام لسياسة ايران الخارجية.

في كل الأنظمة التي بنيت على المباديء الآيديولوجية في القرن الأخير، علمانية كانت ام دينية، فانها كثيراً ما تؤخذ من النصوص التي تعبر عن المباديء الآيديولوجية لهذه الفئة او تلك من الفئات او الاحزاب او الجماعات التي استلمت الحكم بطريقة او اخرى في هذه الدولة او تلك، طوال القرن الماضي، تتخذ من هذه النصوص اهدافاً مقدسة، تبذل في سبيل تحقيقها جهوداً مستميتة لتحقيق تلك الأهداف، حتى اذا كان تحقيق تلك الاهداف امراً يستحيل تحقيقه بكل المقاييس.

وفي حالة ايران فان الأحكام الشرعية المقتبسة من الآيات القرآنية او بعض الأحاديث النبوية او بعض الأفكار الواردة في ثنايا مؤلفات الخميني او تلك الواردة في كتاب ((نهج البلاغة)) المنسوب الى على بن ابي طالب، اضافة الى احكام في الفقه الجعفري، كل ذلك تشكل احدى اهم المراجع التي اعتمد عليها المشرعون في صياغة دستور ايران الدائم المعروف ب(قانون اساسي). ولايخفى على الباحثين كون جميع هذه المصادر والمراجع تتضمن في الغالب نصوصاً واحكاماً يمكن تأويلها بطرق مختلفة.

ودستور ايران الدائم معروف باحتوائه على عدد كبير من الأحكام والمباديء والبنود المطاطية والتي ان يتم تفسيرها وتأويلها على وجوه متباينة بل واحياناً متناقضة ووفقاً لمزاج صانعي القرار في ايران.

لذلك فان الباحث عن آفاق جغرافية ايران السياسية شأنه شأن اي باحث في شؤون ايران السياسية بصورة عامة، سيتعرف على توجهات ومواقف وسياسات خارجية مبنية على مفاهيم ومضامين مذهبية، ترد كنصوص عامة في واحد او اكثر من المصادر التي اشير اليها، فيتولى صانع القرار السياسي في القيادة الايرانية، رفعها كشعار استراتيجي للمجتمع والدولة، حيث يتم توظيف الموارد المالية وتهيئة الاجراءات الادارية واصدار القرارات الرسمية الكفيلة بتحويل تلك المفاهيم والمضامين الى مواقف سياسية، وقبل ذلك تحويلها الى شعارات يتم ترديدها بتوجيه

رسمي على جميع المستويات وبمختلف وسائل الاعلام الرسمية وشبه الرسمية، وبشكل يثير الملل لدى الفئات المثقفة والشابة، كما مر ذكره.

ولاتشكل ايران استثناءاً في هذا الامر، فأهداف السياسة الخارجية في كثير من الدول، تستند على الآيديولوجيا التي تشكل الأسس التي تقوم عليها كل عمل سياسي. وهي تعكس المصالح القومية والنزعة والأهداف القومية، فالآيديولوجية، في حالات كثيرة هي التي توجه السياسة الخارجية للدول.[٨١]

ان دستور ايران الدائم الذي ينظر اليه على انه يمثل عصارة الفكر الشيعي الاثنى عشري يتضمن جوانب من المنطلقات والتوجهات الجيوبوليتيكيةوالتي يتبناها قادة ايران كمجموعة من الأهداف الاستراتيجية والتي يجب العمل بها بما يتاح لهم من امكانيات ووسائل لتحقيقها. فقد جاء في ديباجة الدستور الدائم مايمكن ان يشكل اهدافاً سياسية تعكس الطموحات الاقليمية لقادة ايران. فقد جاءت في مقدمة الدستور مايلي:

((نظراً لأن دستور ايران الدائم يستند على المحتوى الاسلامي للثورة الايرانية والتي تهدف الى الانتصار الشامل للمستضعفين على المستكبرين، فان ذلك يهيء ارضية استمرار الثورة في داخل ايران وخارجها، ولاسيما فيما يتعلق بتوسيع العلاقة مع بقية الحركات الاسلامية والشعبية في الخارج، وذلك ممايمكن ايران وبالتعاون مع هذه الحركات، من ايجاد (الأمة العالمية الواحدة)، والنضال بصورة دائمة لتحرير الأمم المحرومة والمظلومة في العالم)).[*]

ان هذه الفقرة على الرغم من قصرها فانها تتضمن كل التوجهات والأهداف السياسية والجيوبوليتيكية الكامنة والصريحة التي تتبناها قادة ايران، والتي تشكل جزءاً من نظرية مايعرف ب((ولاية الفقيه)). فلأن الفقرة كغيرها من نصوص الدستور الدائم، قد تمت صياغتها باسلوب فضفاض لكي تحتمل طيفاً واسعاً من التأويلات، فيختار صانعوا القرار السياسي ماينا‌سب ايران كما يريدونها هم وليس لأي اعتبار آخر، اما اذا اخطأوا في تقدير الأوضاع وتقييم المواقف، فان الولي الفقيه الذي لايحق لأحد ان يحاسبه فعلاً[*]، يكفيه ان يتذرع بأن تغيير رأيه هو امر بمثابة تجرع كأس من السم، كما فعل الخميني عندما اخبره مشاوروه عام ١٩٨٨ بأن استمرار الحرب العراقية الايرانية لاطائل من ورائها.

لذلك فحين تنص الديباجة على الانتصار الشامل للمستضعفين على المستكبرين داخل ايران وخارجها في نهاية المطاف ولأجل خلق الأمة الواحدة في العالم، وتحرير الأمم المحرومة، وبذلك فان هذا النص الفضفاض يتضمنكل الجهود والمحاولات التي تبذلها ايران ولاسيما في العقدين الأخيرين، والتي ترمي الى خلق مايطلق عليه الباحثون اصطلاح ((الهلال الشيعيShiite Crescent)). فعلى سبيل المثال لاالحصر، يمكن ان تندرج كل المساعدات المادية والمعنوية واللوجستية التي تقدمها ايران الى كل من الشيعة (حزب الله) في لبنان والحوثيين في اليمن وحركة حماس السنية في قطاع غزة، يمكن ان تندرج تحت عنوان تحرير الأمم المحرومة والمظلومة، كما ان وقوف ايران الى جانب بشار الأسد في قمعه للانتفاضة الذي يشارك فيها اوسع قطاعات الشعب السوري لما يزيد عن اربع سنوات، واعلان العديد من قادة ايران وصانعي قرارها السياسي، عن ان امن سوريا جزء لايتجزأ من امن ايران

([81]) Richard J.Payne, The Clash with Distant Culture, New York, state University of New York press, p.2.

([*]) يراجع نص هذه الفقرة من ديباجة الدستور الدائم في الملحق رقم ٤.

[*]طبقاً للدستور فان مجلس خبراء المرشد لهم حق عزل ونصب المرشد او توجيه النقد لأفعاله او قراراته، اما عملياً فان هذا المجلس لم يجرؤ خلال ٢٤ سنة الماضية من توجيه اي نقدٍ وان كان بسيطاً الى المرشد ((خامنه اى)).

القومي، وان النظام السوري خط احمر... وغير ذلك من الشعارات التي تعكس التوجهات الاقليمية لقادة ايران، والتي يمكن ان تندرج تحت مبدأ العمل على خلق ((الأمة العالمية الواحدة)) التي نصت عليها ديباجة الدستور الدائم.

وهكذا يتم اضفاء الصفة الآيديولوجية (المذهبية) على الكثير من المواقف السياسية التي تمثل في الواقع منطلقات جيوبوليتيكية تعد جزءاً ضرورياً لفرض نوع من الهيمنة الاقليمية.

وفي سياق ايجاد الهيمنة الاقليمية هذه، يحاول منظرو سياسة ايران الخارجية، توظيف بعض النصوص الواردة في الدستور الدائم والتي لها ابعاداً جيوبوليتيكية، في خدمة الهدف السياسي الأسمى، والمتمثل في خلق هيمنة اقليمية متميزة. وهم في ذلك يتذرعون ببعض النصوص الآيديولوجية الواردة اما في الدستور الدائم او في التراث الأدبي للمذهب الجعفري.

فاستناداً الى البند رقم (١١) من الفصل الثالث من الدستور الدائم يرى سجادي وهو واحد من هؤلاء المنظرين، بأنه على الرغم من ان الاسلام لايعير اهمية للحدود ولايقيم وزناً للأرض، فان الحفاظ على منجزات الثورة والدفاع عن الوطن الأم لكل الحركات الاسلامية (والمقصود به هنا هو ايران التي يصفها آخرون بأم القرى لكل مسلمي العالم) هو امر ضروري وواجب، ولأن الدفاع عن حدود ايران هو الدفاع عن الاسلام بعينه.[٨٢]

فوفقاً لهذا النوع من التحليل والتنظير فان ايران الاسلامية هي بمثابة ((أم القرى)) لجميع مسلمي العالم[٨٣]، شأنها شأن ((مكة)) عند صدر الاسلام.[*]

ان مثل هذا النوع من التفسير والتأويل لنصوص دستورية او مباديء مذهبية، يبرر كل ما تلجأ اليها ايران من اجراءات وماتتخذها من مواقف وماتوظفها الدولة من موارد مالية، او تقيمها الدولة من تحالفات مع دول او حركات اقليمية او على المستوى العالمي، طالما كان الهدف من وراء ذلك هو الحفاظ على ايران، وطالما كان الحفاظ على ايران بمثابة الحفاظ على النظام.

ان محاولات ايران الدائمة في البحث عن ايجاد حلفاء اقليميين لها دولاً كانوا ام حركات او احزاب سياسية، كانت ولازالت تشكل احدى اهم الوسائل والتدابير الهادفة الى حفظ النظام وهي التي قد تساعد في النهاية في خلق نوع من الهيمنة الاقليمية والتي اصبحت تعرف لدى الباحثين في الدراسات السياسية والاستراتيجية باسم ((الهلال الشيعي Shiiat Crescent**))، وذلك ما يشكل المحور الرئيسي لهذا البحث. وتعد محاولات ماعرف بتصدير الثورة الوجه الأبرز للسياسات الرامية الى خلق نوع من الهيمنة الاقليمية. ولم يكن مسار هذه المحاولات يسير بوتيرة واحدة، بل شكل المسار خطاً متعرجاً يميل الى الصعود في بعض المراحل، ويهبط الى مستويات متدنية في فترات اخرى، وذلك طوال العقود الثلاثة من عمر جمهورية ايران الاسلامية.**

---

(٨٢) عبدالقيوم سجادي، سياست خارجى دولت اسلامى از ديدگاه امام على، فصلنامهء علوم سسياسى سال سوم، شمارهء يازدهم، زستان ١٣٧٩ (٢٠٠٠) تهران، ص٩٧.

(٨٣) نعمت الله مظفر پور، منبع پيشين، ص١٣٨.

[*] ومن فتاوي الخميني المشهورة: ((اذا ما هدد خطر ما مصير النظام الاسلامي فان التخلي المؤقت عن اي ركن من اركان الاسلام امر مباح اذا كان ذلك يضمن الحفاظ على هذا النظام، وفي هذا السياق اجاز الخميني عدم ارسال الحجاج الايرانيين الى الحج في سنوات ١٩٨٤ – ١٩٨٦، وذلك نتيجة للنزاع الذي ظهر في علاقات ايران مع السعودية.

وفي كلتا حالتي تصاعد وتيرة البحث عن حلفاء اقليميين وخفوتها، فان النخبة الدينية المتنفذة تلجأ الى ايراد المسوغات المذهبية (الدينية) التي تبيح لها اللجوء الى نوع معين من المواقف دون الأخرى او اتخاذ اجراء ما دون الآخر. وطالما كان الهدف الأسمى للدولة هو ((الحفاظ على النظام)) والذي تحول الى شعار مركزي للدولة، فان صانعي القرار السياسي في ايران لايفتقرون ابداً الى الأحكام والنصوص المذهبية التي تبيح لهم التصعيد في العمل على تصدير الثورة تحت واجهات دينية ومذهبية معروفة منها دعم مستضعفي العالم ونصرتهم، وتوحيد جهود المسلمين في وجه المستكبرين وعلى رأسهم الشيطان الأكبر (الولايات المتحدة) والصهيونية العالمية. واما في الحالات التي حاول قسم من النظام وضع حد لعزلة ايران الدولية والانفتاح على العالم والتخلي عن محاولات تصدير الثورة بكافة اشكالها، كما حدثت خلال فترتي رئاسة محمد خاتمي ١٩٩٧-٢٠٠٥، الذي كان ينادي بمدأ ''حوار الحضارات'' *، فان الجناح المتشدد في القيادة الايرانية التي لم تروق لها هذا المبدأ، فلم تتورع عن خلق الكثير من الأزمات المحرجة للخاتمي كرئيس للجمهورية، حيث اقدمت اجهزة المخابرات المعروفة ب((اطلاعات)) على ارتكاب ابشع عمليات اغتيال الكتاب والمثقفين وعدد من اقطاب المعارضة، كما تعرض طلاب جامعة طهران الى واحدة من ابشع عمليات القمع والقتل في اقسامها الداخلية، كما منعت عدد كبير من الصحف المستقلة عن الصدور، كل ذلك لخلق الصعوبات التي تكبل ايدي خاتمي ومجموعته الاصلاحية وتشل حركتهم الرامية الى احداث تغييرات جذرية في سياسة ايران الخارجية تحت شعار ((حوار الحضارات -گفتوگوی تمدنها)) من جهة، ومنح المزيد من هامش الحرية الى الصحافة وغيرها من وسائل التعبير الفردية والجماعية من جهة اخرى. وقد جرت كل هذه الأساليب القمعية بأوامر من مكتب المرشد. وصلاحيات المرشد وفقاً لمقولة ((الولاية المطلقة للفقيه)) هي صلاحيات مطلقة لاحدود لها، بل هي عملياً حتى فوق الدستور الذي يعمل به حالياً. فلولي الفقيه الحق في عزل رئيس الجمهورية وحل البرلمان ورسم الخطوط العامة لسياسات ايران الخارجية والداخلية وغيرها من شؤون الدولة والمجتمع المصيرية

ان انتخاب محمد خاتمي كرئيس للجمهورية في حزيران ١٩٩٧ يمثل نقطة تحول كبيرة في سياسات ايران الخارجية، مثلما كان يشكل تحولاً كبيراً في سياسة ايران الداخلية. والذي يهم البحث من سياسة خاتمي هو تأكيده على استقرار السلم في العالم، وعدم اللجوء الى العنف في حل الأزمات الدولية واحلال الحوار محل استخدام السلاح في حل المنازعات الدولية، والعمل بمقولة ((حوار الحضارات)) على المستوى العالمي والانفتاح على جميع دول العالم، بما في ذلك فتح بعض قنوات الاتصال مع الولايات المتحدة ولاسيما في المجالات العلمية والثقافية والتكنولوجية وبعيداً عن فرض اي شكل من اشكال التسلط من جانب الولايات المتحدة[٨٤]. وفيما تخص العلاقة مع الولايات المتحدة بالذات، والتي ظلت النخبة الدينية المتشددة وعلى رأسها المرشد الأعلى تصر على عدم جدوى اقامة مثل هذه العلاقة، فان الرئيس خاتمي اقترح على الادارة الأمريكية وفي كلمةٌ له موجهة الى الشعب الأمريكي القيام بتبادل ل((الاساتذة، والباحثين، والكتاب والفنانين والصحفيين وحتى السياح)) بين الولايات المتحدة وايران. وانطلاقاً من هذه المفاهيم حاول خاتمي وبعد عقدين من العلاقة العدائية بين هاتين الدولتين حاول ان يذيب الجليد المتراكم بينهما، ولكنه اخفق في ذلك، لأن محاولاته الرامية الى الانفتاح على العالم الخارجي بدءاً من دول الخليج وفي مقدمتها مع دولة

* حوار الحضارات او ((گفت و گوتمدنها)) بالفارسية، كما جاء لاول مرة في خطاب الرئيس الاصلاحي محمد خاتمى بعد انتخابه كرئيس للجمهورية في ربيع ١٩٩٧.

[٨٤] روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص ١١٢-١١٣.

الامارات، ومروراً بدول غرب اوربا وانتهاءاً بالولايات المتحدة، كانت مصيرها مصير سياساته الداخلية الرامية الى خلق مجتمع مدني، قائم على أسس ديمقراطية واحترام الحريات الشخصية وحقوق الانسان، كل ذلك اصطدمت بجدار صلب من العداء للولايات المتحدة وحلفائها الغربيين، اقامها الجناح المتشدد من النخبة المذهبية الحاكمة خلال اكثر من عقدين من الزمن عندما انتخب خاتمي رئيساً للجمهورية.[٨٥]

لذلك كانت دورتي رئاسة خاتمي فلتة من فلتات مسيرة جمهورية ايران الاسلامية وعلى المستويين الداخلي والخارجي، الأمر الذي دفع بالجناح المتشدد من النخبة الدينية الحاكمة والتي يتزعمها المرشد، لكي تبذل قصارى جهودها من اجل خلق كل الاجواء والظروف التي تضمن عدم عودة الاصلاحيين الى الفوز بانتخابات رئاسة الجمهورية والاكثرية في البرلمان.

عملياً كانت دورتي رئاسة خاتمي فترة احجمت فيها ايران عن القيام بأي اجراء يعكر صفوة علاقات ايران مع جاراتها في المنطقة او مع اية دولة اخرى في العالم. فكفت اجهزة ايران المخابراتية عن ممارسة اي نشاط يهدد الأمن القومي لأي دولة اخرى. كما ان مايعرف بجيش القدس وغيرها من تشكيلات الحرس الثوري قد منعت من القيام بأي نشاط خارج حدود ايران.

ان الجناح المتشدد في القيادة الايرانية والذي لايزال يجد نفسه ملتزماً بالمنطلقات الآيديولوجية (المذهبية)، والمباديء التي نادى بها الخميني في السنوات الأولى من الثورة، يرى ضرورة ان يكون لايران دور متميز في المنطقة، وان الارتقاء بمكانة ايران الى المستوى الذي يجعل منها واحدة من اكبر القوى الاقليمية في المنطقة امر لامناص منه. لذلك فان هذا الجناح المتشدد قد عقد العزم على عدم السماح للجناح الاصلاحي بأن يفوز بكرسي رئاسة الجمهورية مرة اخرى وان لايسمح لعناصر بارزة من هذا الجناح لكي تفوز بأكثرية البرلمان. ذلك لأن الانتخابات في ايران وكما اثبتت التجارب الأخيرة لايمكن ان يقال لها بأنها انتخابات حرة ونزيهة، وانما هي انتخابات مبرمجة ومشروطة ويقل نظيرها من حيث برمجة الانتخابات. ان تنظيم الانتخابات وجعل نتائجها مع توجهات النخبة الدينية المتشددة والمتنفذة، تطلق عليها وسائل الاعلام في ايران اسم ((هندسة الانتخابات)).

ان الانتخابات التي جرت في حزيران ٢٠٠٥ والتي اسفرت عن تولي محمود احمدى نجاد لرئاسة الجمهورية، كانت بمثابة انتزاع هذه المؤسسة التي تمثل السلطة التنفيذية من ايدي الاصلاحيين ووضعها من جديد في ايدي المتشددين. ان دورتي حكم احمدى نجاد في الرئاسة والمنتهية ولايته في حزيران ٢٠١٣، تمثلان العودة الى الاتجاهات المتشددة في سياسة ايران الخارجية، وسيتوقف البحث في السطور التي تلى عند اشكال من الممارسات والاجراءات في مجال السياسة الخارجية تمثل توجهات ايران نحو اقامة علاقات ستراتيجية مع اطرافٍ في الشرق الأوسط، يمكنها الاعتماد عليها في عملية تحويل ايران الى قوة اقليمية مرهوبة الجانب، بل وتمثل تطلعات ايران نحو الارتقاء الى مكانة احدى اهم القوى الاقليمية في الشرق الأوسط ومايكتنف هذا الشرق من بعض الدول المتوسطة الحجم او الصغيرة.

وهكذا مع تولي احمدي نجاد لرئاسة الجمهورية، تبرز الى واجهة وسائل الاعلام الرسمية الشعارات ذات البعد المذهبي والديني، هذه الشعارات التي وجدت صدى لها في جميع ممارسات الدولة الخارجية.

---

(٨٥) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص١١١ – ١٢٤.

لذلك يرى الباحثون بأن احمدي نجاد هو اكثر الرؤساء الذين استغلوا الآيديولوجية المذهبية منذ قيام الثورة عام ١٩٧٩. فالرئيسان السابقان هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي (١٩٨٩-٢٠٠٥) كانا اكثر ميلاً لاتباع سياسة براكماتية توفيقية. ولكن احمدي نجاد ادان هذا النهج علناً، واعتبر تلك الفترة احدى الفترات التي انحرفت فيها قيم واخلاقيات الثورة. والأغرب من ذلك في سياسيات احمدي نجاد هو استحواذ فكرة عودة الامام الغائب (المهدي المنتظر) على عقله، وتصريحاته في العديد من المناسبات بقرب هذا الظهور، وادعاءه بأنه قريب من الامام الغائب.[٨٦]

وفي ضوء هذا النوع من المعتقدات الغيبية يمكن تفسير الكثير من الممارسات التي تلجأ اليها ايران في علاقاتها الخارجية خلال دورتي حكم احمدي نجاد، كما يمكننا ايضاً من فهم خطابات احمدي نجاد في الامم المتحدة وفي مناسبات متباينة عن ضرورة وجود نهج لادارة العالم يناقض انظمة الحكم المعمول بها حالياً في جميع دول العالم.[٨٧] وان النظام القائم في ايران هو النظام الامثل لكل دول العالم.

ان اي تقييم موضوعي لسنوات حكم احمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣) كرئيس للجمهورية يقود الباحث عن تطلعات ايران الجيوبوليتيكية، الى نتيجة مؤداها ان الفترة المذكورة هي الفترة النموذجية المتميزة منذ سقوط نظام الشاه قبل ٣٣ سنة والتي تم خلالها توظيف المنطلقات والمعتقدات المذهبية لخدمة الأهداف الجيوبوليتيكية والاستراتيجية لايران ((كدولة ثيوقراطيةTheocratic State)) والتي ترمي في النهايةالى فرض شكل من اشكال الهيمنة الاقليمية على اجزاء حساسة من منطقة الشرق الأوسط.

٢- شعور ايران بكونها الدولة الشيعية الوحيدة وسط بحر من الدول ذات الاغلبية السنية:

ان كون ايران هي الدولة الشيعية الوحيدة في العالم جعل من قادتها شديدوالحساسية في علاقاتهم مع العالم الخارجي، فاضافة الى مواقفهم العدائية تجاه الولايات المتحدة وبريطانيا والتي سبق وان سلطت عليها البحث الضوء في الصفحات السابقة، واضافة الى مواقفهم العدائية نحو اسرائيل، فانهم ايضاً لايحملون مشاعر ودية تجاه روسيا واوربا الغربية بصورة عامة. وباستثناء عراق مابعد ٢٠٠٣ وآذربيجان من الشمال، فان جميع الدول المحيطة بايران هي الدول تسكنها غالبية سنية، ومن جهة اخرى ليست هناك من بين المجاورة لايران المجاورة دولة تتبنى مذهباً او ديناً كنظام سياسي، فهي جميعاً دول علمانية اي انها تفصل الدين عن السياسة. ومثل هذا التباين في النهج السياسي قد ينطوي على مشاعر ومواقف غير ودية تحملها قادة ايران في قرارة انفسهم تجاه هذه الدول في علاقاتهم الخارجية مع هذه الدول، وخير مثال على ذلك، العلاقات المتوترة والمتشنجة بين ايران وجاراتها من دول الخليج، ربما باستثناء علاقات ايران مع سلطنة عمان.

ومما يعزز من شدة الحساسية بين ايران كدولة مذهبية وبين جاراتها من الدول التي لاتتبنى الدين او المذهب كأساس لنظامها السياسي، هو ان ايران وكدولة متعددة الاعراق والقوميات فان المناطق المركزية منها هي المناطق الوحيدة التي تسكنها اغلبية اثنية من المجموعة الفارسية، بينما تسكن في اطراف هضبة ايران المركزية قوميات واثنيات متنوعة غير فارسية وغير شيعية ك(الكرد والتركمان، والبلوج، والعرب) وذلك مايعد نقطة ضعف واضحة في جغرافية ايران السياسية، وتشكل القوميات غير الفارسية وغير الشيعية التي تسكن في اطراف وهوامش

(86) http:// acpss.ahram.org.eg/ahram/RE 2 D8.HTM.

(87) http://isna.ir/fa/news/ (خطاب احمدى نجاد في الدورة ٦٧ للأمم المتحدة عام ٢٠١٢)

هضبة ايران خطراً كامناً على امنها القومي ويعبر هذا الخطر الكامن عن نفسه ويظهر على السطح كحركة تحرر قومية تسعى الى الانفلات من قبضة المركز الخانقة.[٨٨]

ان احاطة ايران بجدار من القوميات غير الشيعية (انظر الخارطة رقم ٥) وبجدار آخر من الدول غير الدينية (علمانية وشبيهاتها) تشكل دائماً عامل توتر كامن بين ايران وبين جاراتها من الدوال الأخرى، ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى الطبيعة المذهبية للنظام في ايران. ومثل هذا التناقض والتنافر لم يكن قائماً بين ايران الشاه وبين الدول التي تجاور ايران او تقع بالقرب منها. لذلك فعلى الرغم مما كان لايران الشاه من اطماع اقليمية ومشكلات حدودية مع بعض من الدول المجاورة، الا ان اجواء الوئام والاستقرار والود والاحترام المتبادل كانت هي الاجواء السائدة بين ايران الشاه ومعظم تلك الدول. والاكثر من ذلك كانت ترتبط بالبعض من هذه الدول في شكل تحالفات استراتيجية اقليمية وذات طابع دولي، فقد كانت ايران عضواً في ((حلف بغداد)) CENTOالذي كان يضم بالاضافة الى ايران والعراق، كلاً من تركيا وباكستان الى جانب كل من الولايات المتحدة وبريطانيا.[٨٩]

ذلك لأن ايران الشاه لم تكن لها تطلعات مذهبية، ولم تكن لأطماعها الاقليمية اية صبغة مذهبية. ان شعور ايران بالعزلة عن دول المنطقة التي تحيط بها لم يأتي من فراغ، فهي الدولة الشيعية الوحيدة في العالم الاسلامي، والشيعة كمجموعة مذهبية تتكون من مجموعة من الاقليات المبعثرة بدءاً من الطائفة الاسماعيلية في الهند ومروراً بأقليات متناثرة في باكستان وافغانستان والسعودية و البحرين وبعض دول آسيا الوسطى، حتى تركيا وشمال افريقيا وبلاد الشام ودول شبه الجزيرة العربية وحتى اليمن. لذلك فانها ولكونها دولة مذهبية (ثيوقراطية) مبنية على ((نظرية ولاية الفقيه)) التي جاء بها الخميني، ثم تحولت الى ((الولاية المطلقة للفقيه)) والتي لايتبناها غير عدد قليل من رجال الدين الشيعة والمنتفعين من النظام، كل ذلك تجعل من هذه الدولة لاتشعر بالأمان من اي قوة خارجية او من اية دولة من الدول ذات الأغلبية السنية، وعلى مستوى علاقاتها الخارجية وبنفس الدرجة من الشك والريبة وعدم الشعور بالأمان تتعامل الفئة المتنفذة مع كل الحركات والفئات السياسية والأحزاب المعروفة بالوطنية المذهبية (ملى مذهبي)، ومع كل الشخصيات السياسية والدينية والثقافية التي لاتشارك تلك الفئة المتنفذة الملتفة حول المرشد، في توجهاتها السياسية على المستويين الداخلي والخارجي.

ان الوحدة والانعزالية التي تعيشها ايران قد تحولت الى صفة لصيقة بها، لذلك يؤكد بعض الباحثين عن سياسات ايران الخارجية على ان انعزال ايران عن النظام العالمي والنظام الاقليمي انما هو انعزال استراتيجي ويشكل ميزة اساسية في مجمل سياسة ايران الخارجية وكذلك في مجمل علاقاتها ومواقفها مع دول العالم.[٩٠]

والباحث الموضوعي في مسائل ايران الخارجية لايمكنه الركون الى التبريرات التي تسوقها وسائل اعلام ايران الرسمية عن ان سبب هذه العزلة، انما يرجع الى وجود مؤامرة دولية تقودها الولايات المتحدة واسرائيل في تهميش ايران، بل ان وقائع ثلاث وثلاثين سنة من عمر جمهورية ايران الاسلامية، تؤكد على ان ممارسات ايران

([٨٨]) فيروز حسن حمة عزيز، التحدي الكردي كنموذج لتحديات التنوع القومي والمذهبي لأمن ايران القومي، گۆڤاری زانكۆی سلێمانی، بەشە B، ژمارە -٢٦- تەممووزی ٢٠٠٩، ل١٠٩ – ١١٠.

([٨٩]) سعيد خديده علو، العلاقات العراقية الايرانية واثرها في القضية الكوردية في العراق (١٤ تموز ١٩٥٨ – ٨ شباط ١٩٦٣) دار سثيريز للطباعة والنشر، ط١، دهوك، ٢٠٠، ص٥٦.

([٩٠]) Ali Akbar Rezaei, Foreig Policy Theories, Irans Foreig Policy, Itheca press, UK, Printed in Lebanon, www.ithecapress.co.uk.p.26.

الداخلية والخارجية، وطبيعة النظام التي لامثيل لها في العالم والتي لايتسع المجال هنا لتناولها، هي التي خلقت هذه العزلة. ولأن النخبة المتنفذة والمغرمة بالشعارات والتطلعات المذهبية فانها وعلى الرغم من اتسامها بنوع من البراكماتية كما مر ذكره، فانها تبقى متشبثة بمواقفها المتزمتة، الى ان تجد نفسها وجهاً لوجه مع خطر جدي يهدد بانهيار النظام بكامله.(*)

الخارطة (٥) تركيب ايران القومى

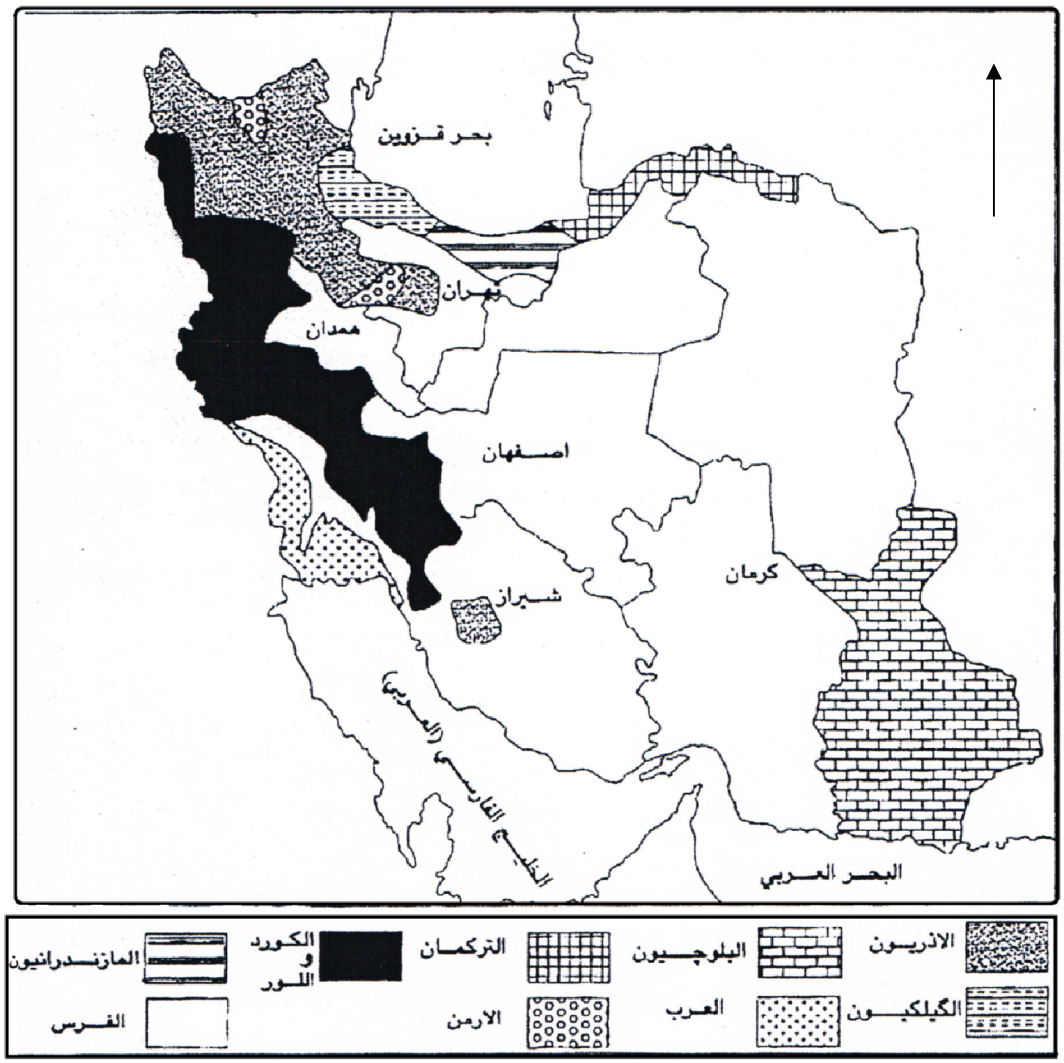

الخارطة من تنظيم الباحث اعتماداً على المصادر التالية:

المصادر: ١- جواد صفى نزاد، عشاير مركزى ايران، انتشارات امير كبير، تهران ١٣٨٠، ص١٠٤.

٢- محمد رضا حافظ نيا، جغرافياى سياسى ايران، تهران١٣٨١، ص ١٥٣.

(*) لقد وجدنا كيف بقى الخميني مصراً على رفض قرار مجلس الأمن بشأن انهاء الحرب التي اشعلها صدام، الى ان وصلت ايران الى طريق مسدود، عندها وفي ١٩٨٨/٧/٢٠ وافق الخميني على ماشبهه بتجرع كأس السم، ولانستبعد ان يعيد التأريخ نفسه، وان يتراجع ولي الفقيه عن المضي في برنامج ايران النووي وذلك عندما يصل الاقتصاد الايراني الى حافة الانهيار.

٣- فيروز حسن عزيز، التحدى الكوردى كنموزج لتحديات التنوع القومى و المذهبى لآمن ايران القومى، طؤظار زانكؤى سليمانى، بةشى B، سليمانى ذمارة ٢٦، تةموز ٢٠٠٩، ص١٠٨

لذلك ففي الوقت الذي تتمسك النخبة الدينية الحاكمة بنظرية المؤامرة كتفسير لعزلتها، وتجد نفسها عاجزةً عن ابداء المرونة المناسبة في الكثير من المسائل والسياسات الداخلية المثيرة للجدل، وذلك لوقوعها تحت ضغط العديد من الشعارات والمنطلقات المذهبية، هذه المنطلقات والشعارات المذهبية التي تهيمن على اذهان معتنقيها في القيادة الايرانية الى الحد الذي تسلب من هذه القيادة الارادة القادرة على اظهار الانعطافات المطلوبة والتي ينتظر منها المجتمع الدولي، في الوقت المناسب.

لمواجهة العزلة التي حشرت ايران فيها نفسها، فان صانعي القرار السياسي في ايران وجدوا انفسهم مضطرين الى بذل كل ما من شأنه ان يضمن لايران تحالفات وصداقات اقليمية مع القوى والدول والحركات الموجودة في المنطقة. تحالفات وصداقات تمهد الطريق من جهة اخرى لفرض هيمنة ايران الاقليمية، وذلك بحكم تناسب القوى في المنطقة، وبحكم قدرات ايران الاقتصادية والبشرية والتكنولوجية.

وبناءاً على ماسبق فان شعور القيادة الدينية والسياسية في ايران بعزلة اقليمية وعالمية، قد عزز لدى هذه القيادة الدوافع التي تدفعها الى توظيف كل الامكانيات المادية والمعنوية والتي تضمن لها نوعاً من الهيمنة الاقليمية.

والشيء البارز في تطلعات ايران نحو الهيمنة الاقليمية هو تحول العامل المذهبي والديني الى العامل الابرز في جميع مساعي ايران الرامية الى خلق هيمنة اقليمية، بل وقد تحول هذا العامل الى محور المشروع الستراتيجي الذي يقوم على بناء جدار من الدول والحركات والمناطق الصديقة او الحليفة او الموالية في المناطق المحيطة بايران والتي يمكن ان تشكل خط الدفاع الأول في مواجهة المؤثرات والأخطار التي تشكلها القوى الاقليمية كاسرائيل او دول الخليج وعلى رأسها العربية السعودية او تركيا على سبيل المثال.

ولانغالي اذا قلنا بأن النخبة الحاكمة في ايران، انما حولت منطلقات وأسس الأمن القومي الايراني التي كانت سائدة ايام الشاه، الى مايمكن ان نطلق عليه اصطلاح الأمن المذهبي القومي لايران، كما يرى الباحث الفلسطيني عزمي بشارة.(*)

وهذا الجدار من الدول الحليفة هو ماأطلق عليه العاهل الأردني الملك عبدالله عام ٢٠٠٤ اسم الهلال الشيعي. وهو اصطلاح شاع استعماله منذ ذلك الحين.(٩١)

وفيما يأتي من الصفحات فان البحث سيلقى المزيد من الضوء على ابعاد ومراحل بناء هذا المشروع الهادف الى خلق مناطق نفوذ مضمونة يمكن لايران ان تعتمد عليها كظهير ستراتيجي يعزز من مواقفها التصادمية مع عدد غير قليل من دول المنطقة من جهة، ومع الدول التي يطلق عليها اسم الأستكبار العالمي في الأدبيات التي تعبر عن وجهة نظر المجموعة التي تتحكم في امور الدولة والمجتمع منذ سقوط نظام الشاه وحتى الآن من جهة اخرى. ودول الاستكبار العالمي وفقاً لهذا التصنيف الايراني تتضمن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربية.

(*) اكد الباحث والمحلل السياسي الفلسطيني الدكتور عزمي بشارة، هذه الحقيقة في مقابلة له مع فضائية الجزيرة في برنامج يحمل عنوان ((الثورة السورية على مفترق الطرق)) وذلك بتأريخ ٢٠١٣/٥/٢٠.

(٩١) Kayban Barzegar, Iran and the Shiite Crescent, Myth and Realities, Broun Journal of World Affairs, 2008, p.87.

العمق الاستراتيجي للتوسع الايراني الاقليمي:

ان الباحث الذي يهمه كثيراً الحصول على مايشكل وثائق وادلة رسمية تشير صراحة على جهود ايران الرامية الى بناء جدار من القوى والحركات والدول المتحالفة، والتي يضمن لها نوعاً من الهيمنة الاقليمية، فان جهود الباحث سوف تذهب هباءاً، ذلك لأن اقامة مثل هذه التحالفات قد تمت من خلال مواقف واجراءات عملية ومنظمة ومن دون البوح بها صراحة، بل اللجوء الى نوع من التستر على الأهداف الاستراتيجية الكامنة وراء هذه الجهود، وذلك بادخال كل تلك الجهود في دائرة العمل على الوقوف ضد سياسات اسرائيل التوسعية، ودعم جهود المقاومة الفلسطينية وتبعاً لذلك فان الدعم المتعدد الجوانب الذي تقدمه ايران لتلك الاطراف والذي يصوره الاعلام الرسمي على انه دعم يصب في خانة مقاومة النفوذ الأمريكي (الشيطان الأكبر) في الشرق الأوسط والخليج. عليه فان البحث سوف يعتمد على واقع العلاقات السياسية المتبادلة بين ايران وتلك الأطراف التي تحتسب وفقاً لكل المقاييس جزءاً من ستراتيجيات ايران وتدخل في دائرة النفوذ الايراني، وفي مقدمة تلك الأطراف او القوى التي تخدم الاهداف الاستراتيجية لايران بشكل او آخر.يمكن الاشارة هنا الى سوريا وحزب الله في لبنان كمثال للنوع الاول من هذه الأطراف التي تدور في فلك ايران، والى العراق وحوثيي اليمن كمثال للنوع الثاني من تلك الأطراف والقوى. وبناءاً على هذا الاستنتاج يمكن تقسيم المناطق التي تبذل ايران كلما تملكه من جهود ومساع لكي تضمن بقاءها في فلكها الى نوعين من القوى والأطراف وعلى النحو التالي:

اولاً- القوى والأطراف التي تدخل فعلاً ضمن منطقة النفوذ الايراني:

الملفت للانتباه في كلا النوعين وكما مر ذكره هو الدور البارز الذي يلعبه عامل المذهب في انجذاب هذه القوى والأطراف نحو المحور الايراني والدوران في فلكها. صحيح ان هناك اطرافاً وقوى تربطها بايران مجموعة من المصالح السياسية والاستراتيجية او حتى اقتصادية في مرحلة من المراحل ومن دون ان يكون لعامل المذهب اي دور في اقامة تلك العلاقات، وخير مثال على ذلك المصالح السياسية الذي تربط حركة حماس السنية في قطاع غزة بايران، او تلك التي تربط معظم اطراف الحركة الكردية في اقليم كردستان بايران، منذ سقوط الشاه وحتى الآن، وهي علاقات قائمة على مصالح سياسية متبادلة ولادخل للمذهب فيها، لذلك فانها مرهونة ببقاء تلك المصالح، وعندما تتغير تلك المصالح فان علاقات ايران لتلك الأطراف سرعان مايصيبها الوهن، كما نلاحظ ذلك اليوم فيما شابت تلك العلاقات من برود ووهن بين ايران وبعض الأطراف من الحركة الكردية في السنوات الأخيرة. الأمر الذي يحمل الباحث على الاستنتاج بأن عامل المذهب يلعب دور الوشيجة الأدعى الى الديمومة في ربط ايران بحلفائها الاقليميين. غير ان الدور الريادي المشهود في مساعي ايران الرامية الى خلق هيمنتها الاقليمية، لايعني ان العامل المذهبي هو العامل الفصل والوحيد في اقامة تحالفات ستراتيجية راسخة وقادرة على الاستمرار، بل ان هناك عوامل اخرى سياسية وجيوبوليتيكية تلعب بشكل او آخر دوراً واضحاً في اقامة تلك العلاقات التي تكتسب ايران من خلالها نوعاً من الهيمنة الاقليمية.

لذلك فان الباحث يشاطر اولئك الباحثين عن مسائل ايران الاستراتيجية، الرأي القائل بأن اقامة التحالف او محور شيعي بين ايران وقوى او حركات اقليمية، يتعذر حصوله اذا كان مبنياً فقط على الأساس الآيديولوجي

(المذهبي)، بل يجب ان يكون مثل هذا التحالف مبنياً على ضرورات جيوبوليتيكية وان يلبي مجموعة من متطلبات الأطراف التي يجمعها هكذا تحالف.[٩٢]

تعد سوريا احدى ابرز الأمثلة البارزة لدولة اقليمية تجمعها بايران شبكة من المصالح الاقتصادية وجيوبوليتيكية والسياسية. وهي فوق ذلك دولة تتبوأ فيها مجموعة منتمية الى اقلية مذهبية معينة تتولى مقاليد الحكم منذ اواخر الستينات من القرن الماضي وحتى الآن، واستلام سدة الحكم في سوريا لم يكن عبر صناديق الانتخاب وانما كان ذلك عن طريق انقلاب عسكري قاده حافظ الأسد، الذى ينحدر من الاقلية العلوية التى تستقر في الاذقية، وكان اسلوب استلام السلطة بواسطة الانقلاب العسكري امراً شائعاً في الدول التي كانت تعرف بالعالم الثالث. لذلك فانه لايصح الزعم بأن صانعي القرارات السياسية الاستراتيجية في سوريا في العقود الأربعة الاخيرة انما يتخذون قراراتهم المصيرية وفقاً لما تمليه عليهم متطلبات ورغبات اوسع اوساط الشعب السوري، بل تاتي وفقا لمايراه شخص رئيس الجمهورية. لذلك فان اقامة القيادة السورية التحالف استراتيجي بين سوريا وايران خلال العقود الثلاثة الأخيرة من عمر الثورة الايرانية لايعني بالضرورة ان مثل هذا التحالف الاستراتيجي يحظى بقبول الشارع السوري بوجه عام. الأمر الذي يجعل مثل هذه التحالفات بين ايران والدول التي تقف قادتها السياسيون وصانعوا القرار فيها مع قادة ايران على ارضية مذهبية متشابهة الى حد ما تحالفاً هشاً وغير راسخ و قابل للانهيار مع تغيير القيادة السياسية.

لذلك من الصعب القول بأن ايران يمكنها فرض نوع من الهيمنة الاقليمية وبصبغة مذهبية تقوم على قاعدة جماهيرية واسعة ذلك لان القوميات التي تستقر في دول الشرق الاوسط، ومن بينها العرب والفرس والكرد والترك، وكما يرى معظم باحثي شؤون الشرق الأوسط انما تهمهم مسألة الهوية القومية ومكوناتها الثقافية والسياسية والجيوبوليتيكية والتي تدعمها عناصر مكونة من اللغة المشتركة بين افراد هذه المجموعات القومية والوطن المشترك، والأصول التأريخية المشتركة. لذلك فالشيعة في سوريا والعراق مثلاً هم اولاً يعدون انفسهم عرباً قبل ان يكونوا منتمين الى المذهب الشيعي، والفرس في ايران يضعون هويتهم الايرانية فوق اي اعتبار آخر.[٩٣]

اغلب الظن ان هذا الاستنتاج الذي يمكن ان يعبر عن وجهة نظر معظم المحللين في شؤون الشرق الأوسط السياسية، انما يتضمن نوعاً من التعميمات القائمة على مواقف واحداث واوضاع اجتماعية وسياسية معينة يصعب التحقق من صحتها.

فمن بين الأمثلة البارزة التي يسوقها البعض من الباحثين للتدليل على ان الوعي القومي لدى المجموعة الشيعية من عرب العراق، كان يفوق مشاعر الانتماء المذهبي لدى هؤلاء، بدليل اشتراكهم في الحرب التي شنها صدام حسين على ايران خلال سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)، حيث كانت اغلبية افراد الجيش العراقي من الشيعة، فاعتدوا على ايران ارضاً وشعباً على الرغم من كون الأغلبية الساحقة من مقاتلي ايران من الشيعة.[٩٤]

ان الاستشهاد بهذا المثال لايعبر بأي شكل من الأشكال على ان الوعي القومي لدى الجنود العراقيين كان يفوق وعيهم المذهبي. ذلك لأن من لهم المام بطبيعة نظام صدام الاستبدادي القمعي يدرك بأن افراد الجيش العراقي بكل قومياته ومذاهبه وطوائفه القومية والمذهبية انما سيقوا الى هذه الحرب وهم مكرهون ورغماً عنهم.

([92]) Kayban Barzegar, op.cit, p.93.
([93]) Kayhan Barzegar, Ibid, p.93.
([94]) Kayhan Barzegar, op.cit, p.91.

فاشتراكهم في الحرب التي اشعلها العراق لايعني ان هؤلاء الجنود من شيعة العراق كانوا مدفوعين بدوافع قومية وانهم اداروا ظهورهم الى انتماءاتهم المذهبية.

وبناءاً على ماتقدم يمكننا الخروج بالاستنتاجات التالية:

١ – ان ماقامته ايران من شبكة من العلاقات والتحالفات الاستراتيجية والجيوبوليتيكية مع سوريا كدولة ومع حزب الله في لبنان كحركة سياسية وميليشيات مسلحة، لاتعكس بالضرورة حاجات واهتمامات الشارع الايراني التي تتمحور عادة حول مستلزمات الحياة اليومية اولاً وقبل اي شيء آخر. ان التجارب التي مرت بها الشعوب الاخرى التي جربت انظمة الحكم القائمة على أسس ومباديء آيديولوجية في القرن الماضي، كتجربة الأنظمة التي قامت في الاتحاد السوظيتي (١٩١٧-١٩٩٠) والصين الشعبية (منذ ١٩٤٧) وفي كوبا (منذ ١٩٦٠) واخرى في ايطاليا الفاشية والمانيا النازية خلال سنوات مابين الحربين العالميتين، والتي تملك وجوهاً مشتركة مع النظام القائم في ايران والذي بني على الآيديولوجية المذهبية وتقف معها على ارضية مشتركة من المنطلقات والمسلمات والشعارات الآيديولوجية، هذه التجارب قد اثبتت وبما لايترك مجالاً للشك، بأن الطبقات التي تقبع في ادنى درجات السلم الاجتماعي والاقتصادي، سرعان ماتتبرم من الشعارات البراقة التي لاتمل اجهزة الاعلام الحزبية والرسمية في هذه الأنظمة على ترديدها صباحاً ومساءاً ولسنوات من دون توقف. فهذه الطبقات المسحوقة اجتماعياً تهمها في النهاية لقمة عيش كريمة وفرصة مناسبة للعمل وحياة آمنة بعيدة عن الفوضى والشغب والحروب.

٢ - ان الأوضاع الاقتصادية الوخيمة التي تعيشها ايران ولاسيما بعد فرض حزمة جديدة من العقوبات الاقتصادية على ايران تعود في اساسها الى برنامجها النووي من جهة والى التزاماتها المادية تجاه حلفائها الاقليميين من جهة اخرى. ولايمكن فصل برنامج ايران النووي عن محاولات ايران في خلق هيمنة اقليمية.

فطبقاً للأرقام الموثوقة والرسمية فان نسب التضخم السنوي في ايران هي في تصاعد مطرد، فقد بلغت هذه الارقام اكثر من ٢٥٪ عام ٢٠٠٨. اما نسبة البطالة وطبقاً لنفس المصدر فقد تجاوزت ١١.٨٪ لنفس العام، وان نسبة الذين كانوا يعيشون تحت خط الفقر عام ٢٠٠٢ قد ارتفعت الى خمس مجموع سكان ايران اي حوالي ٢٠٪.[٩٥] ومما لاشك فيه ان هذه النسب قد ارتفعت عام ٢٠١٢.

وفي نفس السياق اشارت المجلة البريطانية Economist **في آخر عدد لها لشهر مارس - آذار الى ان نسبة التضخم للاقتصاد الايراني لعام ٢٠١٢ قد تجاوزت ٣٣٪.[٩٦] وهذا الرقم لايختلف كثيراً عن الرقم التي اعلنه المركز العام للاحصاء في ايران والذي قدر التضخم في ايران باكثر من ٣١٪ عام ٢٠١٢.[٩٧] اما صحيفة** TimesTehran **الايرانية والقريبة من النظام فانها قدرت التضخم ب٣٠٪.[٩٨]**

([95]) Shayerah Ilias, Irans Economic Conditions, Congessional Research Services, April 22,2010, p.5.

([96]) http:// www.economist.com/news/middle east. /21573610.

([97]) فضائيات (BBC.persian ،VOA Persian.٢٠١٣/٤/١ **النشرة الاخبارية المسائية ليوم**)

([98]) http://www.tehrantimes.com/economy-and-business/104756 irans-inflation-rate-hits-27.4-central bank.

غير ان المهتمين بقضايا الاقتصاد الايراني ينظرون الى الأرقام المرتبطة بنسبة التضخم الواقعية ونسبة البطالة ونسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر على انها في الواقع اعلى بكثير من الأرقام الرسمية التي يعلنها مصرف ايران المركزي او مركز الاحصاء الرسمي.

ان الطبقات المسحوقة اقتصادياً والتي تشكل قاعدة الهرم الاجتماعي ومعها الطبقة المتوسطة بكافة مستوياتها والتي تشكل بمجموعها اكثر من ثلثي سكان ايران، ترزح اليوم تحت وطأة العقوبات الاقتصادية التي فرضت على ايران، نتيجة لاصرارها على برنامجها النووي والذي ينظر اليها الفئة الحاكمة في ايران على انها احدى الوسائل الرئيسة التى تمنحها القدرة الكافية لفرض هيمنتها الاقليمية.والتي يدعي النظام بأنه برنامج سلمي بينما ترى الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بأنه برنامج يهدف الى صنع سلاح نووي. فاتخذت من ذلك ذريعة لفرض تلك العقوبات الاقتصادية Economic Sanction، والتي اوصلت الاقتصاد الايراني الى تلك الوضعية الكارثية، وانعكست آثارها المدمرة على الطبقات الفقيرة والمتوسطة والتي تشكل اوسع مكونات المجتمع الايراني. ولاتعود الأوضاع الاقتصادية الكارثية الى العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الأمم المتحدة على ايران، فقط فحسب، بل وايضاً الى الدعم المادي واللوجستي والمعنوي اللامحدود التي تقدمها ايران الى سوريا كحليف استراتيجي لها، وكجزء اساسي للمحور الذي يطلق عليه البعض اسم الهلال الشيعي، والذي قدرت الدعم المالي منه فقط بملياري دولار خلال السنتين الأخيرتين. وذلك الى جانب الدعم الذي تغدقه ايران بسخاء على حزب الله في لبنان وبمختلف الأشكال، وهو دعم حول تشكيلات حزب الله العسكرية الى امتداد لاحدى اذرع الحرس الثوري او (سپاه پاسداران). هذه التشكيلات التي تتبنى مصالح سياسات ايران الجيوبولوتيكية وتجعلها في صدر اولوياتها، وعلى الرغم من اصرار حزب الله على انه وميليشياته العسكرية انما ينتهج سياسات ويتخذ مواقف وقرارات سياسية تمليها عليه مصالح لبنان العليا ومايرتبط بها من مصالح العرب والمسلمين بصورة عامة، ومصالح الشعب الفلسطيني.

يني في صراعه مع اسرائيل بصورة خاصة، الا ان الحزب وميليشياته المسلحة عمل ولايزال يعمل، ومنذ ظهوره كقوة سياسية فعالة في الساحة اللبنانية، بايعاز من صانعي القرار السياسي في ايران. ولايتسع مجال هذا البحث لايراد الأمثلة والادلة الدامغة التي تثبت هذا الرأي، ولكن مواقف هذا الحزب من الصراع الدائر في سوريا منذ آذار ٢٠١١ وحتى الآن، واخيراً انغماس الحزب ومقاتليه بصورة مباشرة في هذا الصراع الى جانب النظام السوري وبشكل سافر، قد كشف عن حقيقة نوايا هذا الحزب وعن حقيقة الدور الذي يلعبه كذراع عسكري وسياسي ينفذ مايمليه عليه صانعو القرار السياسي في ايران، ومن دون التيقن عما اذا كانت مواقفهم العملية تنسجم مع مصالح الشعب اللبناني ام تعارضها. ان اذعان الحزب الى الاعلان عن سقوط مقاتليه صرعى في جبهات القتال في سوريا تحت اسم ((قتل في مهمة جهادية)).[*] وذلك خلال السنة الأولى من الصراع الدائر في سوريا، ثم الاعلان عن قتلاه بذريعة الدفاع عن المزارات الدينية وتارةً بذريعة الدفاع عن القرى الشيعية الحدودية التي تتعرض لهجوم الجماعات المسلحة، ان هذا الاذعان الى الاعلان انما يعكس مدى تورط هذا الحزب في العمل لخدمة مصالح ايران الستراتيجية في المنطقة.

٣ - ونستنتج مما تقدم على ان قاعدة شعبية واسعة من المجتمع الايراني، ولاسيما الفئات ذات الدخل المحدود والتي تفقد باستمرار مكوناً ضرورياً من مكونات غذائها اليومي على مائدة طعامها، كما يرى بعض الباحثين عن

(*) قناة الجزيرة الفضائية، النشرة الاخبارية الخاصة بأخبار المعارك في سوريا في الساعة الثامنة والنصف مساءاً في يوم ١٨.شباط.٢٠١٣.

اقتصاديات ايران[٩٩]، لاتشارك صانعي القرار السياسي في ايران رأيهم والذي يتلخص في ان اقامة تحالفات اقليمية مع الدول والحركات ذات الصبغة المذهبية المعينة[١٠٠]، هي في الواقع امر حيوي لتحويل ايران الى قوة عظمى اقليمية alSuperpower Region وان ايران يجب ان تلعب دوراً اساسياً في وضع هيكل لأمن اقليم الشرق الاوسط.[١٠١] وقد عبرت هذه القاعدة الواسعة من المجتمع الايراني عن سخطها وامتعاضها ورفضها لهذه السياسات التي تكلف رجل الشارع الايراني لقمة عيشه حتى قبل ان تصل الامور الى هذه الوضعية الكارثية، وذلك عندما هتفت بأعلى صوته ((نه غزة نه لبنان جانم فيداى ايران)) كما اشير سابقا.

٤ - ولايبدو ان صانعي القرار السياسي في ايران ولاسيما مايتعلق من هذا القرار بالمسائل الخارجية، يهمهم كثيراً ماوصلت اليه نسبة البطالة والتضخم السنوي ولا ماانحدر اليه حجم النمو الاجمالي السنوي GDP الى مادون الصفر بدرجتين لعام ٢٠١٣ وذلك بناءاً على تقديرات صندوق النقد الدولي TMF[**]، ولايهمهم ايضاً ماوصل اليه ارتفاع اسعار السلع والخدمات ولاسيما الأساسية منها الى مستوى غير مسبوق، بقدر مايهمهم خلق هيمنة اقليمية والتي تضمن لهم هدفهم الأسمى والأهم من اي شيء آخر الا وهو ((حفظ النظام))[١٠٢]، وهو الهدف الذي اكد الخميني بأنه وللوصول اليه يجوز حتى التخلي بصورة مؤقتة عن ركن من اركان الاسلام الخمسة كالحج مثلاً.[١٠٣]

ويعزى سبب ذلك الى ان محاولات ايران الهادفة الى خلق تحالف راسخ مع دول او حركات شيعية في المنطقة، انما تقوم على اسس ستراتيجية وهيثراطماتية بطبيعتها،وليست قائمة على مباديء آيديولوجية. ولأن سياسات ايران الاقليمية هي في الواقع متأثرة بالدوافع الجيوبوليتيكية اولاً وقبل اي شيء آخر، ومن ثم تأتي الدوافع الآيديولوجية بالمرتبة الثانية.[١٠٤]

ومن هنا تحاول ايران توظيف الآيديولوجيا المذهبية لخدمة مصالحها الجيوبوليتيكية، فهي تحاول دائماً ان تصور نفسها على انها قلب الاسلام النابض في العالم، وذلك لكي تنجح في كسب دعم واسع من العالم الاسلامي والذي يمكنها من الوقوف في وجه كافة التحديات الاقليمية والعالمية. وهذا التوظيف للآيديولوجيا لتحقيق اهداف جيوبوليتيكية قد خلق مايمكن ان نسميه ب(اعداء الاسلام وايران) وهم الغرب عامة والولايات المتحدة الامريكية بالدرجة الأولى. ومثل هذه الخصومة والعداوة هي التي خلق لدى الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين انطباعاً عاماً بأن (ايران) تشكل التهديد الأول للأمن والاستقرار لدول الشرق الأوسط.[١٠٥]

انعكاسات سياسة ايران الخارجية على المعارضة الداخلية:

ان هكذا واقع سياسي الذي اوجدته النخبة السياسية الحاكمة في ايران وقامت بنسج مكوناته طوال اربع وثلاثين سنة، لايسمح لهذه النخبة بأن تقيم وزناً لمطالبات المعارضة الداخلية والخارجية بتغيير الأوضاع الاقتصادية

---

(٩٩) وفاء آذر بهاري، في عرضٍ له عن واقع الاقتصاد الايراني، فضائية VOA الأمريكية الناطقة بالفارسية، في ١.نيسان.٢٠١٣.

(100)Kayhan Barzegar,Ibid,p.88.

(101)ibid,p.11.

(**) اعلن عن هذا النمو السنوي السلبي بمقدار درجتين تحت الصفر وذلك بناءاً على الأرقام الرسمية لمصرف ايران المركزي، نقلاً عن شبكة VOA القسم الفارسي بتأريخ ٢٤.٤.٢٠١٣.

(١٠٢) نعمت الله مظفر پور، منبع پيشين، ص١٣٨ – ١٣٩.

(١٠٣) روح الله موسوى الخمينى، صحيفه نور.جلد دوم رابان ١٣٤٤، چاپ نجف، ص٣٧١.

(104) Kayhan Barzegar, op.cit, pp.87 – 88.

(105) Anoushirvan Ehteshami, Irans Foreign policy, op.cit.p.xiii.

الوخيمة، كما وان مثل هذا النظام يجعل من هكذا نخبة حاكمة غير مبالية بصرخات الطبقات المسحوقة والمكتوية بنيران التضخم والبطالة المتفشية، طالما ان النخبة الحاكمة تبني شرعيتها على مجموعة من المنطلقات المذهبية التي لخصت في مبدأ (ولاية الفقيه) والذي ادخل كمحور اساسي في الدستور الدائم والذي يدور حوله جميع بنود واحكام هذا الدستور. وفي مرحلة تالية وضماناً لتحقيق الهدف الأسمى للنخبة الحاكمة والمتمثل في حفظ النظام فانها حولت المبدأ الى (الولاية المطلقة للفقيه) اي ان هذه النخبة منحت الولي الفقيه صلاحيات لاحدود لها، الأمر الذي حول الوالي الفقيه الى صانع القرار الأول والاخير، لاينازعه في صنع القرار السياسي اي شخصية رسمية كرئيس الجمهورية او رئيس البرلمان على سبيل المثال في رسم الخطوط العامة لسياسات ايران الخارجية والداخلية. فما رسمه الولى الفقيه منذ توليه لهذا المنصب بعد وفاة الخميني في حزيران عام ١٩٩٢، من خطوط عامة للسياسات الخارجية والداخلية، قد بقيت هي هي ولم يطرأ عليها اي تغير ولم يتزحزح الولي الفقيه من مواقفه السياسية قيد أنملة.

لذلك فان سياسة اقامة التحالفات السياسية مع كل من سوريا وحزب الله في لبنان وحركة حماس في فلسطين وحاليا مع حوثيين في اليمن، بقيت كما هي ومن دون تغيير، ولم تنجح كل التظاهرات والاعتراضات التي ابداها الشارع الايراني او الاعتراضات التي يبديها الجناح الاصلاحي من النظام، اضافة الى اعتراضات جناح واسع من النخبة المثقفة غير المذهبية، والمعارضة الداخلية والخارجية بكل اطيافها، ازاء السياسات الداخلية والخارجية التي ينهجها النظام والمتعلقة بملف ايران النووي من جهة، ومحاولاتها في اقامة تحالفات استراتيجية اقليمية مع كل من سوريا وحزب الله في لبنان وحاليا حوثيى اليمن من جهة اخرى وهي تحالفات مكلفة مادياً ويقع ثقل تكاليفها المادية على كاهل الفئات المسحوقة والعاطلة عن العمل في المجتمع الايراني.

فطالما بقيت هناك شخصية ذات صلاحيات مطلقة على رأس الهرم السياسي للنظام، ولايجد نفسه ملزماً بتقديم مبررات او ايضاحات لما يرسمه من خطوط عامة للسياسات الخارجية او الداخلية لأي شخص او هيئة رسمية او محفل مذهبي، حتى وان كانت وقائع الأوضاع السياسية قد اثبتت خطأ تلك السياسة وجلبت نتائج كارثية على اقتصاد ايران وطالما بقي شعار (حفظ النظام) بأي ثمن هو الشعار المركزي للنظام فان الولي الفقيه لايقيم وزناً للنداءات الداعية الى وضع حد للتحالفات الاستراتيجية التي يقيمها النظام مع قوى اقليمية كسوريا وحزب الله في لبنان وحماس في غزة او مع حوثيى اليمن، والتي تنعكس سلباً على الحياة المعيشية للطبقات الفقيرة والمتوسطة من المجتمع الايراني، وهي طبقات شديدة التأثر للعقوبات المفروضة على ايران، فتدفع هذه الطبقات ثمن السياسات الخارجية الرامية الى اقامة تحالفات اقليمية تضمن لايران نوعاً من الهيمنة الاستراتيجية على ذلك الجزء من الشرق الأوسط والذي بات معروفاً لدى الكثير من الباحثين باسم الهلال الشيعي Shiite Crescent **(يراجع الخارطة رقم ٤).**

٥ - ان النخبة الحاكمة في ايران وكجزء اساسي من سياستها الرامية الى تحقيق نوع من الهيمنة السياسية شرقي البحر المتوسط، وجدت في سوريا التي تحكمها عائلة الأسد المنتمية الى الأقلية العلوية، ومن حركة امل الشيعية ومن حزب الله الذي ساهمت ايران في تشكيله، ضالته المنشودة فبالاتكاء على حزب الله وهي الحركة الأقوى تسليحاً وتدريباً وتمويلاً في لبنان، اصبحت حركة حزب الله حالياً القوة الرئيسية في البرلمان وفي مجلس الوزراء اللبناني، الأمر الذي حول هذه الحركة الشيعية الى القوة المتحكمة فعلاً في القرار اللبناني. واصبحت لبنان رهينة بيد قادة

حزب الله والذين لايخفون كونهم يأتمرون بأوامر خامنه اي ((الولي الفقيه))، ويعلنون نهاراً جهاراً بأنهم لكونهم جزءاً اساسياً لما يسمى بمحور المقاومة والممانعة مع كل من سوريا وايران وحركة حماس الفلسطينية في غزة، فانهم لايجدون امامهم خياراً آخر غير استمداد الدعم المادي واللوجستي والاعلامي من ايران.

ووفقا لتوجيهات و خطابات حسن نصرالله يكون قد القى بكل ثقله العسكري والسياسي وبصورة رسمية، الى جانب النظام السوري وخدمة للأهداف الاستراتيجية لايران، وبذلك اصبح حزب الله، ومن وراءه ايران، طرفاً في الصراع الدائر في سوريا وهذا ماكان ينفيه حسن نصرالله بشدة قبل عدة اشهر، ويؤكد على ان حزب الله ينأى بنفسه عما يجري في سوريا فاذا به يتورط في الصراع الجاري في سوريا حتى النخاع.[**] فيتحول لبنان وسوريا الأسد تبعاً لذلك الى منطقة النفوذ الايراني، والتي من خلالها يتعزز التواجد الستراتيجي لايران في السواحل الشرقية للبحر المتوسط وفي مواجهة نفوذ اسرائيل وغيرها من القوى الاقليمية او الدولية غير الصديقة لايران، شرقي البحر المتوسط.

اما فيما يتعلق بسوريا نفسها، فان اربع سنوات من الصراع الدموي المسلح قد استنفذت القوى الاقتصادية والعسكرية والبشرية والمالية للدولة السورية، وبرزت ايران كأقوى حماة بشار الأسد، وظهرت ايران كالدولة الوحيدة التي تلقي بكل ثقلها المالي والاقتصادي العسكري وحتى البشري لمنع نظام الأسد من السقوط. وقد لخص (علي اكبر ولايتي) مستشار خامنه اي للأمن القومي، موقف ايران من الصراع الدائر في سوريا منذ آذار ٢٠١١ على النحو التالي: ((انه لولا دعم ايران للنظام السوري لما تمكنت سوريا من الوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة، وان ايران لاتترك سوريا تسقط بيد هذه الجماعات الارهابية، وان لايران اوراقاً لم تكشفها، ستلجأ اليها عند الضرورة لحماية سوريا من السقوط.[*]

والنتيجة المنطقية لمثل هذه العلاقة هي الانصياع المتزايد لحكام سوريا للتوجهات الستراتيجية المبنية على مصالح ايران الجيوبوليتيكية والمتمثلة لممارسة ايران لنوع من الهيمنة الاقليمية عل هذه المنطقة الحساسة من السواحل الشرقية للبحر المتوسط والتي تشغلها الدولة السورية، والتي من خلالها تتمكن ايران من ان تكون على مقربة من لبنان والتي ترى فيها قادة ايران ساحة مفتوحة لأجهزة المخابرات الأمريكية والاوربية وحتى الاسرائيلية، والتي تصنف وفقاً للمادة ١٥٢ من دستور ايران الدائم، على انها اعداء ستراتيجيون للنظام القائم في ايران، ولأمن ايران القومي في النهاية لأنها تمثل جبهة المستكبرين في مواجهة جبهة المستضعفين.[١٠٦]

واهمية سوريا الجيوبوليتيكية كمنطقة لنفوذ ايران السياسي والستراتيجي من جهة اخرى انما تكمن في ان حزب الله في لبنان قد تحول فعلاً الى دولة داخل دولة، وهو يملك من الأسلحة ما لاتملكه دولة لبنان كماً ونوعاً.[*] والأكثر من ذلك فاننا اذا ما اخذنا بوجهة نظر العديد من المراقبين السياسيين ممنيتسمون بقسط كبير من الموضوعية والمهنية، فيمكننا القول بأن حزب الله وخلال فترة رئاسة ميشيل سليمان - ونجيب ميقاتي قد صادر

[**] فضائية العربية/ برنامج ثانوراما/ مقابلة مع الدكتور احمد فتفت النائب في الثرلمان اللبناني عن كتلة الرابع عشر من آذار، الدكتور كمال اللبواني عضو الائتلاف الوطني السوري في ٢٠١٣/٥/١.

[*] تصريحات ادلى بها على اكبر ولايتي مستشار المرشد لمسائل الأمن القومي واحد مرشحي الدورة الانتخابية الحادية عشرة. النشرة الاخبارية لفضائيات الجزيرة، العربية و BBC الفرسية بتأريخ ٢٠١٣/٥/٤.

[١٠٦] نعمت الله مظفر ثور، منبع ثيشين، ص١٤٠.

[*] اكد السيد فؤاد سنيورة، احد قادة مجموعة الرابع عشر من آذار ورئيس الوزراء السابق على ان قوة حزب الله المسلحة تفوق قوة الدولة اللبنانية (قناة الجزيرة، برنامج وراء الخبر) في ٢٠١٣/٦/١٩. (برنامج پانوراما قناة العربية ٢٠١٣/٦/١٩).

القرار اللبناني وحول لبنان الى دولة تدور في الفلك السوري الايراني، ولم يعد حزباً يناضل من اجل مصالح لبنان العليا وانما اصبح يتخذ من مصالح ايران الاستراتيجية بوصلة يهتدي بها في اتخاذ قراراته المصيرية، كل ذلك لم يكن ممكناً لولا ان سوريا وكمنطقة لنفوذ ايران مهدت السبيل لبروز حزب الله خلال العقدين الأخيرين كحركة مسلحة تأتمر بأوامر ايران، فوجود سوريا وبما كانت تملكها من نفوذ مطلق في لبنان قد كان السبب المباشر لما وصل اليه حزب الله من سلطة ونفوذ في لبنان وخارجه.**

واهمية سوريا الجيوبوليتيكية كمنطقة لنفوذ ايران السياسي والستراتيجي من جهة اخرى، تكمن في انها هي التي مهدت السبيل لظهور حزب الله في لبنان في الثمانينات من القرن الماضي.[١٠٧] ولعبت دور الوسيط لتزويد هذا الحزب بالمال والسلاح الايراني وذلك خلال سنوات التواجد السوري في لبنان وحتى بعد اخراجها من لبنان بقرار من مجلس الأمن الدولي اثر عملية اغتيال ((رفيق الحريري)) في ١٤ آذار عام ٢٠٠٥ فان سوريا بقيت تلعب دور الظهير الراسخ الداعم لحزب الله والتي اوصلت هذه الحركة الى ماوصلت اليه في الوقت الحاضر.

فهذا التلاحم الوظيفي والتشابك القائم على المصالح السياسية والستراتيجية بين سوريا وحزب الله وايران، والذي تعززه أسس مذهبية، قد جمع هذه القوى الثلاث في خندق واحد وجبهة واحدة لمواجهة التحديات الاقليمية والدولية، هذه التحديات التي تتلخص اليوم فيما تسميه اعلام الأطراف الثلاثة ب((المؤامرة الكونية ضد جبهة المقاومة والممانعة)).

ان هذه العلاقة العضوية الهادفة الى تحقيق اهداف استراتيجية، وتعزيز موقف النظام السوري الذي تمكن من البقاء على قدميه في وجه اكبر تحدي مسلح يواجهه النظام طوال ما يزيد عن ثلاث سنوات من جهة اخرى. فهذا النظام وعلى العكس من بقية الأنظمة العربية الشمولية التي خسرت سلطتها نتيجة لثورات ماأصبح يعرف بالربيع العربي، ماكان له ان يصمد كل هذه المدة في وجه تحد بهذا الحجم لولا الدعم الايراني المتعدد الجوانب بالدرجة الأولى، ودعم حزب الله من جهة اخرى. الى جانب الدعم الروسي الذي قد تفوق اهميته اهمية هذين الدعمين في بعض جوانبه، والتي لامجال هنا للخوض في جزئياته.

٦ - هناك اجماع بين الباحثين عن شؤون ايران السياسية، على ان الولايات المتحدة ترى في اي تعزيز للنفوذ الايراني في الاقليم على انه تهديد لمصالحها وأمنها القومي. ويرى هؤلاء بأن الولايات المتحدة تنظر الى ايران كقوة اقليمية كبرى وانها بما تملكها من طموحات تحاول جاهداً ان تملأ الفراغ الذي ظهر في العراق بعد سقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣.[١٠٨]

والمتتبع لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بصورةٍ عامة والخليج الفارسي بوجه خاص يدرك بأنها ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، تحاول الوقوف في وجه اي هيمنة تفرض على الاقليم من قبل اية قوة اقليمية بمفردها، لأن ذلك يخل بالتوازن الاقليمي. لذلك فان الولايات المتحدة ومعها ايضاً معظم دول المنطقة، تشعر بقلق

**يرى العديد من المراقبين السياسين و الباحثين بان الاغتيالات السياسية التى نفذت في لبنان على الاقل في العقد الاخير، بما في ذلك اغتيال الحريرى انما تمت باوامر من المخابرات السورية و بتنفيذ من حزب الله.

(١٠٧) روح الله رمضاني، منبع پيشين، ص٦٥.

(١٠٨) Mahjoob Zweiri, Arab – Iranian Relation, Irans Foreign Policy,Publisher, Ithaca,Lebanan,2007 pp.118 – 120.

بالغ ازاء التحالفات التي تقيمها ايران مع عدد من دول المنطقة وقواها السياسية، والتي ستمكن ايران من خلق ماأصبح يعرف بالهلال الشيعي في قلب الشرق الأوسط، (ينظر الخارطة رقم ٦).

واذا ماتيسرت لايران اقامة مثل هذا الهلال وفي ظل الظروف الاقليمية الجديدة فان ايران ستكون قادرة على توسيع دائرة نفوذها الاقليمي. وعندها ايضاً ستكون قادرة على املاء شروطها على المجتمع الدولي وعلى الولايات المتحدة بوجه خاص. وهي شروط بالغة الأهمية، منها مايتعلق بأسعار النفط في الأسواق العالمية، ومنها مايتعلق بقضايا أمن الطاقة الدولية وفوق هذا وذاك فان ايران ستكون قادرة على فرض شروط برنامجها النووي.[١٠٩]

ومما يعزز من هذه الاحتمالات، في نظر الباحثين هو وجود قناعة لدى صانعي القرار السياسي في ايران بأن الولايات المتحدة ومنذ انتخاب (اوباما) تمر بحالة من الضعف السياسي على الصعيد الدولي، ناجم عن ازمتها الاقتصادية، وان نفوذها في الشرق الأوسط هو في حالة انحسار، وان الهزيمة الحقت بها في كل من العراق وافغانستان وان الوقت موات لايران لكي تعزز من موقعها الستراتيجي في هذا الجزء من الشرق الأوسط وذلك بالتعاون مع حلفائها الصميميين والذين يشاركونها في انتمائهم المذهبي وتأتي سوريا (بشار الأسد) وحزب الله في لبنان والشيعة المتنفذين في العراق في مقدمة هؤلاء الحلفاء.[١١٠]

ومما يشجع قادة ايران على اقامة هكذا تحالف مع القوى المواليه لها، لبناء منطقة للنفوذ تمكنها من الوقوف في وجه عدوها الرئيس المتمثل في الولايات المتحدة ومعها اسرائيل، هو ان الولايات المتحدة وبعد احداث الحادية عشر من سبتمبر ٢٠٠١، قد اطاح بنظامين شموليين هما نظام طالبان في افغانستان ونظام صدام حسين في العراق، واللذان كانا يشكلان الد اعداء ايران الاقليميين، مما ازاح عن كاهلها خصمين عنيدين لاقبل لايران بمفردها التخلص منهما، ونجم عن ازاحتهما هذه تحولات ستراتيجية كبيرة انعكست بصورة واضحة على توازن القوى في منطقة الخليج، فبرزت ايران كقوة اقليمية كبيرة، ولاسيما منذ انسحاب الولايات المتحدة في العراق وعزمها على الانسحاب من افغانستان عام ٢٠١٤.

كما ان سقوط نظام صدام قد اسفر عن تخلص ايران من عدوٍ آخر لاتقل خطورته على النظام من هذين الخصمين والمتمثل في حركة ((مجاهدي خلق)) المسلحة التي سمح لها صدام باقامة معسكرات لها داخل العراق.[١١١]

وكنتيجة لهذه التحولات الستراتيجية الاقليمية، ظهرت منطقة لفراغ القوة في العراق بوجه خاص، واصبحت ايران اكثر القوى الاقليمية المرشحة لملأ هذا الفراغ.[١١٢]

---

(١٠٩) فضائية VOA الناطقة بالفارسية، وهذه في مقابلة لهذه الشبكة في برنامج افق مع كل من اكبر گنجى الكاتب الايراني وكل من امير طاهرى وحسن شريعتمدارى وهم من الساسة المعارضين للنظام ويقيمون في اوربا وذلك في ٢٠١٣/٥/١٣.

(١١٠)Yosef Bondansky, Iran to surge to Hegemonic position, http://oilprice.com /Geopolitics/htm/

(١١١) Mahjoob Zweiri, Arab – Iranian Relation, Iran Foreign Policy, op.cit, p115.

(١١٢) Judith S.Yaphe, The united State and Iran in Iraq, Irans Forein policy, op.cit, p.38.

الدول والأطراف التي يعزز تحالفها مع ايران قدرة الاخيرة على اقامة منطقة للهيمنة الاقليمية:

ان الصورة الحقيقية لستراتيجية هيمنة ايران الاقليمية لاتتضح معالمها الا من خلال التأكيد على جملة من الحقائق التي تشكل الأرضية التي تنطلق منها ايران في عملية شاقة وطويلة لفرض هيمنتها ومن هذه الحقائق الموقف العدائي لكل من ايران والولايات المتحدة نحو الأخرى، فالولايات المتحدة وكما نوه اليها البحث ترى في ايران على انها جزء من محور الشر[١١٣]، وانها الدولة الوحيدة في الاقليم التي تعمل جاهدة على الاخلال بالتوازن الاقليمي من خلال ستراتيجيتها القائمة على الهيمنة الاقليمية.[١١٤] الأمر الذي يتطلب من الولايات المتحدة في نظر مخططي سياساتها الخارجية، احتواء نفوذ ايران الاقليمي.

ومن الحقائق الأخرى التي ينبغي التأكيد عليها، ان ايران بدورها ترى في الولايات المتحدة على انها الشيطان الأكبر، وانها القوة الكبرى التي تسعى دوماً على ابتلاع العالم، وان غزوها لكل من افغانستان والعراق انما يندرج ضمن ستراتيجية ترمي الى احتواء ايران ومحاصرتها من خاصرتها. وهي من جهة اخرى ترى نفسها محاطة بدول تعد صديقة للولايات المتحدة، باستثناء سوريا[١١٥]، وهذا مايضيق عليها الخناق، فلايبقى امامها من مخرج لهذا المأزق غير التحالف مع الدول والقوى الصديقة بهدف خلق محور من الدول المعادية لاسرائيل والولايات المتحدة.

ومن هذه الحقائق ايضاً شعور النخبة الحاكمة في ايران بأن الولايات المتحدة تمر حالياً بمرحلة انحسار واضح لنفوذها في الشرق الأوسط، وان محاولاتها لخلق منطقة الشرق الأوسط الكبير قد باءت بالفشل وان الوقت قد حان لالحاق الهزيمة النهائية بالولايات المتحدة وحليفتها اسرائيل، وفي هذه المنطقة الحساسة في الشرق الأوسط. أي أنه آن الأوان لايران ان تنتقل الى الهجوم لتحقيق اهدافها الاقليمية، كما يؤكد ذلك علي اكبر ولايتي مستشار المرشد الأعلى للشؤون الخارجية.[١١٦]

غير ان تحقيق هذه الأهداف الاقليمية والستراتيجية من قبل ايران امر لايتسنىلها تحقيقها بمفردها، انما لابد لها من محور ستراتيجي من الدول والأطراف التي تدور في فلكها، أي ان ايجاد اقليم سياسي تضم هذه الدول والأطراف ويكون منطقة لنفوذ ايران الستراتيجي. وهو نفس المحور الذي يطلق عليه البعض مصطلح الهلال الشيعي. وهو محور نجحت ايران في تفعيله في خضم اوضاع سياسية استثنائية ناجمة عن التدخل العسكري للولايات المتحدة في كل من افغانستان (٢٠٠١) والعراق (٢٠٠٣) وما نجم عنه من استنزاف لاقتصادها وارهاق لاقتصاد حلفائها، واسفر كل ذلك عن انسحاب للولايات المتحدة من العراق اواخر ٢٠١١، وعن اتخاذ قرار بالانسحاب من افغانستان عام ٢٠١٤، فساهمت كل هذه التغييرات في خلق فراغ ستراتيجي في العراق، فخلا الجو لايران لملء هذا الفراغ ولاسيما بعد الانسحاب الأمريكي عن افغانستان، ان ملء هذا الفراغ والتواجد الايراني في المشهد السياسي لدول المنطقة، وحضورها الواضح وراء التحولات السياسية التي تحدث بين الدول والأطراف التي تدخل ضمن هذا المحور وفي مقدمتها العراق وسوريا ولبنان. وهذا الحضور والتواجد الايراني خلف مايجري من احداث ومايتخذ من قرارات ستراتيجية في اطراف هذا المحور هو مايشكل هيمنة اقليمية لايران في هذا الجزء الحساس من الشرق الأوسط، والتي تظهر في مستويين وعلى النحو التالي:

---

(١١٣) Mehran Kamrawa, op. cit. p.9.
(١١٤) Judith S.Yaphe, op. cit. p.49.
(١١٥) Richard J.Yaphe, The clash with Distant Cultures, New York state University press, 1995, pp.22 – 23.
(١١٦)www.sama – alshzib.com/vb/archive/index.php/htm/

اولاً: الدول والأطراف التي تجد ان بقائها يكمن في تعاونها الستراتيجي مع ايران (العراق):

تأتي النخبة المتحكمة بالقرار السياسي في العراق حالياً في مقدمة تلك الأطراف التي تمارس ايران من خلالها نفوذها السياسي، وتمرر عبرها قرارات ستراتيجية تخدم في النهاية مصالح ايران الستراتيجية على المستويين الاقليمي والعالمي. وتبذل ايران جهوداً مضنية لتحويل اطراف اخرى في المنطقة الى حركات تخدم مصالح ايران الستراتيجية بشكل او آخر، ولاسيما تلك المصالح التي تشارك فيها ايران مع تلك الأطراف وتمثل ارضية مشتركة للطرفين. ومن هذه الأطراف حركة حماس التي تحكم في قطاع غزة بفلسطين، والى حدٍ ما حركة الحوثيين بمنطقة صعدة شمال اليمن، وهي حركة زيدية ذات جذور شيعية. تأريخياً، فأن علاقات ايران والعراق كانت مشحونة بمشاعر العداوة والتخاصم على الأقل على طول القرون الخمسة الأخيرة، عندما كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية. ومنذ ظهور الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١، فان هذه العلاقات بقيت تتأرجح بين كونها علاقات ودية ولاسيما حتى سقوط النظام الملكي في العراق في تموز ١٩٥٨، وغير ودية في معظم الأوقات ولاسيما بعد قيام النظام الجمهوري في العراق.[١١٧]

ونظراً لأن الدولتين تشتركان في حدود برية تزيد عن ١٤٠٠كم[١١٨]، فان احتمال ظهور مواقع ومناطق مثيرة للنزاع بين الدولتين كانت ولايزال احتمالاً قوياً، ويكفي ان نشير الى مشكلة ترسيم الحدود في منطقة شط العرب والتي ظلت مثيرة للخلاف منذ ظهور الدولة العراقية وحتى الآن، ذلك لأن العراق وفي ١٧ سبتمبر ١٩٨٠ قد الغى رسمياً اتفاقية الجزائر الموقعة بين البلدين والتي كانت مشكلة شط العرب جزءاً منها[١١٩]، وكان ذلك ايذاناً بشن حرب على ايران اشعلها صدام ودامت لحوالي ثماني سنوات، وكلفت البلدين خسائر بشرية ومادية هائلة.

والحدود الطويلة هذه تمنح ايران فرصاً مناسبة لممارسة نفوذها السياسي على العراق كدولة وبشتى الوسائل، طالما كانت نسبة غير قليلة من السكان على جانبي جزء من هذه الحدود ولاسيما تلك الأقسام من الحدود التي تفصل محافظات واسط وميسان والبصرة، عن محافظتي خوزستان وايلام، انما هم من الاثنية العربية وينتمون الى المجموعة الشيعية.[*]

ومما له تداعيات سياسية من بين الروابط التي تربط النخبة المتنفذة في ايران والشيعة في العراق، هو ان معظم القيادات السياسية الشيعية الناشطة في الساحة السياسية في العراق كانوا يوماً ما بطريقة او اخرى لاجئين

([١١٧]) آذر ميدخت مشايخ فريدني، مسائل مرزى ايران وعراق وتأثير آن در مناسبات دوكشور، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٦٩ (١٩٩٠)، ص١٥١ – ١٥٣.

([118]) Judith S.Yaphe, op. cit. p.45.

([١١٩]) خالد يحى العزى، مشكلة شط العرب في ظل المعاهدات والقانون، دار الرشيد للنشر، بغداد، دار الحرية، ١٩٨٠، ص٢٦٥.

([*]) ان مايزيد عن نصف هذه الحدود (اكثر من ٧٠٠) بين الدولتين تمثل الحدود الفاصلة بين ايران وافليم كردستان العراق وتسكنها المجموعة الكردية على طرفي الحدود والتي هي في غالبيتها مجموعة غير شيعية. كما ان جزءاً غير قليل من هذه الحدود على الجانب الايراني، انما تسودها المجموعة الفارسية، وهي في كل الأحوال مجموعة شيعية.

سياسيين في ايران[**]، الأمر الذي جعل من هؤلاء يشعرون بأنهم مدينون بدرجة او اخرى الى الدعم الذي كانوا يتلقونه هم وتنظيماتهم المسلحة من ايران.[١٢٠]

ان البحث لايتسع هنا للدخول في جزئيات طبيعة العلاقات السياسية القائمة بين ايران والعراق، ولاسيما منذ ان حل نوري المالكي محل ابراهيم الجعفري في رئاسة حزب الدعوة وفي رئاسة الوزارة عام ٢٠٠٦[١٢١]، ومن هذا التأريخ بالذات خلا الجو لايران لكي تبدأ بممارسة نفوذها في صنع القرار العراقي لذلك يكتفي البحث بالاشارة الى انه مع تولي المالكي لهذا المنصب، فان القرارات السياسية المصيرية التي تتخذ في العراق، انما تاتي منسجمة مع مصالح ايران الستراتيجية، وفي النهاية لم يعد هناك قرار يتخذ في العراق يتعارض مع توجهات ايران السياسية[١٢٢]، وتكفي الاشارة هنا الى ان عملية تولي المالكي لرئاسة الوزارة، لم تكن امراً ممكناً لولا ممارسة ايران لمختلف اوراق الضغط السياسي، بهدف منع اياد علاوي رئيس القائمة العراقية من تولي رئاسة الوزارة.[١٢٣]

ويرى المراقبون السياسيون بأن التدخل الايراني السافر في مقدرات العراق السياسية قد بدأ فعلاً بعد تولي اياد علاوي لرئاسة الوزارة عام ٢٠٠٥، وكان التدخل قبل ذلك يجري خلف الكواليس، وذلك بممارسة ضغوطاتها على الأحزاب الشيعية البارزة والتي كانت جزءاً من دولة العراق الجديدة، بهدف وضع حد لسياسات رئيس الوزراء، والتي لم تكن منسجمة مع توجهات ايران الهادفة الى ممارسة هيمنتها الاقليمية في العراق. وقد تجسدت معارضة العلاوي لسياسة الهيمنة هذه في قول وزير دفاعه ((بأن ايران هي العدو الأول للعراق)).[١٢٤]

ومع فوز المالكي برئاسة الوزارة، فان ابعاد هيمنة ايران السياسية على مقدرات العراق، اصبحت تتكشف يوماً بعد يوم، الأمر الذي دفع ببعض الباحثين الى القول وربما بشيء من المبالغة، بأن ايران هي التي تتحكم في القرار العراقي. فقد اكد S.YAPHEفي احد ابحاثه بأن العراقيين شيعة كانوا أم سنة، يعتقدون بأن (العمائم تحكم العراق) وانها هي التي تدير الحكم في العراق والتي حولت العراق فعلاً الى دولة دينية تابعة لحكم الملالي (في ايران)، فهم يتهمون ايران بأنها تسللت الى اجهزة الأمن والمخابرات العراقية، ويتولون تدريب الشرطة والميلشيات الشيعية وفي النهاية يتسببون في تقويض أسس استقلال العراق.[١٢٥]

وعلى الرغم مما تنطوي عليه مثل هذا النوع من الآراء من المبالغة، ولكن مما لاشك فيه، ان ايران وللأسباب الجيوبوليتيكية التي نوه اليها البحث ولكون ايران تفوق العراق من حيث السكان والمساحة بثلاثة اضعاف، فان هذه العوامل مجتمعة قد مكنت ايران من التحكم في القرار العراقي الى حدٍ بعيد[١٢٦]، بل والى مصادرة

[**] ولايستثنى عن هذه القاعدة، قادة الحركات السياسية الكردية المسلحة المناهضة لنظام صدام، اذ كان هؤلاء ومنذ اندلاع الثورة الكردية المسلحة عام ١٩٦١ وحتى اقامة كيان اقليم كردستان العراق عام ١٩٩١، فان ايران الشاه، ومن بعدة ايران النظام الجمهوري كانت ملاذاً آمناً لقادة كل الحركات وللثيشمرطة بوجه عام عند الشدائد.

(120) Mahjoob Zweiri, Arab – Iranian Relation, Irans Foreign Policy, op.cit, p118.
(121)Judith S.Yaphe, op. cit. p.45.
(122)Judith S.Yaphe, op. cit. p.45.
(123)Kamran Taremi, (Iranian Foreign Policy toward Occupied Iraq, 2003 – 2005) Middle East policy, Vo 1.12.No.4.(winter 2005.p.40.
(124) Kamran Taremi, op. cit. p.40.
(125) Judith S.Yaphe, op. cit. p.45.
(126) That is what indicated by Zainab Badawy, BBC.World, quoting to Ayad Alawy Iraqi previous PM.

هذا القرار في بعض الحالات. ولعل ماصرح به هوشيار زيباري لصحيفة ((الشرق الأوسط)) اللندنية، يشكل دليلاً واضحاً على حقيقة تحكم ايران في القرارات السيادية التي يتخذها العراق.

ففي مقابلة له مع صحيفة الشرق الأوسط اكد هوشيار زيباري وزير الخارجية، ((بأن بلاده غير قادرة على وقف عملية نقل السلاح من طهران الى دمشق، اذا كانت هذه العملية موجودة، ودعى اعضاء مجلس الأمن الدولي الى العمل على ايقافها اذا كانت تخالف قرارات هذا المجلس)).[١٢٧]

ان مايمكن قراءته من بين سطور هذا التأكيد، هو الاعتراف الضمني بعجز العراق عن ممارسته لحق سيادي تملكه اي دولة ذات سيادة وفقاً للقانون الدولي، فاذا كانت الدولة العراقية عاجزة عن منع طائرة ايرانية تحمل اسلحة غير مسموحة بها الى سوريا، فان ذلك يشكل اعترافاً ضمنياً بأن ايران تمارس هيمنتها على القرار السيادي للعراق، واذا كان العراق عاجزا عن منع هذا النوع من الدعم اللوجستي من الوصول الى احد طرفي النزاع، والذي يعارض السياسة الرسمية المعلنة والمتمثلة في وقوف العراق على مسافة واحدة من طرفي هذا النزاع.[١٢٨] فان التغاضي عن خرق ايران لسيادته، فانه يقوم ايضاً كدليل واضح على ان صانع القرار السياسي في العراق ارتضى لنفسه بأن يحول العراق الى دولة تابعة تدور في الفلك الايراني. وفي كلتا الحالتين فان عمليات نقل الذخائر والعتاد والأسلحة من ايران الى حليفتها الستراتيجية سوريا، عبر الأجواء العراقية سواءاً حدث ذلك بترخيص من القيادة العراقية او جرى ذلك رغماً عن ارادتها، فان عمليات النقل الجوي هذه وفي كلتا الحالتين، انما تؤكد على انصياع النخبة المتحكمة بالقرار العراقي لتلبية متطلبات التوجهات الستراتيجية والاقليمية لايران، كما انها تشير الى ان صانعي القرار السياسي العراقي حالياً، وكنتيجة للمعطيات الجيوبوليتيكية التي يعيشها عراق مابعد سقوط النظام، يشعرون بأن مثل هذا الواقع السياسي يحتم عليهم المضي في هذا المسار الذي يربطهم بايران من خلال مجموعة من الوشائج المذهبية والتأريخية والستراتيجية.

فالمعطيات الجيوبوليتيكية هذه ليست مستمدة فقط من الحدود الطويلة المشتركة بين البلدين ووقوعهما على ممر مائي واحد والمتمثل في الخليج، بل وتنبع ايضاً من تطويق العراق بعدد من الدول العربية التي توصف مذهبياً بكونها سنية، ولكي تخلق دولة العراق توازناً محلياً واقليمياً في سياستها، فان حكومة عراقية تقودها الشيعة، لاخيار لها الا البحث عن دعم سياسي من ايران، وهي الجارة الكبرى.[١٢٩] وفي هذه الحالة فان العامل المذهبي يمثل عاملاً هاماً ان لم نقل عاملاً حاسماً من بين العوامل التي تتحكم حالياً في طبيعة العلاقات القائمة بين الدولتين.

ان تعاظم النفوذ الايراني في صنع القرار السياسي في عراق مابعد سقوط النظام كان امراً متوقعاً، ذلك لأن الاجراءات التي اتخذها ((بول بريمر Paul Bremer)) الرئيس المؤقت لسلطة التحالف في العراق قد فسرها العرب السنة في العراق على انها تهميش لدورهم التأريخي في حكم البلاد، وانتقاص لمكانتهم الاجتماعية والسياسية وتحويلهم الى مواطنين من الدرجة الثانية كما ان حكام الدول الخليجية ومعهم ملك الأردن اصبحوا الآن على قناعة بأن الشيعة في العراق هم الذين يتحكمون في القرار السياسي العراقي، وان العراق سيتحول الى دولة دينية

---

(١٢٧) جريدة الشرق الأوسط الصادرة في لندن، العدد ١٢٦٤٧، الأحد، ١٤ يوليو ٢٠١٣.

(128) Hooshiar Zebari, Hard Talk program, BBC.World, 24/7/2013.

(129) Kayhan Barzegar, op.cit, p.94.

يقودها رجال الدين الشيعة، وتسيطر عليها ايران.(*) الأمر الذي سيؤدي في النهاية الى تعزيز دور سكان الشيعة الذين يعيشون في دول تسودها اغلبية سنية في معظم دول المنطقة، مما قد يؤدي في النهاية الى خلق مايسميها البعض بالهلال الشيعي او ((شيعستان)) والتي تقف ايران على رأسها.(١٣٠)

وتأتي الاعتصامات والمظاهرات الذي تلجأ اليها اوساط واسعة من سكان المحافظات ذات الأغلبية السنية ولاسيما في الأنبار والموصل وصلاح الدين وديالة، كدليل على شعور هؤلاء بتهميشهم اجتماعياً وسياسياً، وبأنهم تحولوا الى مواطنين من الدرجة الثانية. لذلك يشكل اعتراضهم على مصادرة ايران للقرار السياسي العراقي، واحداً من اهم اسباب تذمرهم من سياسات الحكومة المركزية.

اما فيما يتعلق بالأطراف الأخرى التي من خلالها تتمكن ايران من ممارسة نفوذها السياسي عليها،لغرض تحقيق اهداف استراتيجية معينة، فيمكن الاشارة الى حركة حماس الفلسطينية في قطاع غزة، وهي الحركة الوحيدة بين القوى المتحالفة مع ايران والتي تختلف مذهبياً عن القوى والأطراف الأخرى التي تتحالف مع ايران في مختلف الميادين. ولهذا السبب بالذات لايمكن ادراج هذه الحركة ضمن الأطراف التي تعتمد عليها ايران كثيراً في ممارسة هيمنتها الاقليمية ولعل خروج خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، ومعه العديد من قادة وكوادر هذه الحركة من دمشق، نتيجة لتصاعد وتيرة الصراع الدموي الذي يدور رحاه في سوريا منذ ربيع ٢٠١١ وحتى الآن. وكان هذا الخروج رسالة واضحة من حركة حماس بأنها لاتشارك ايران رأيها في ان نظام بشار الأسد انما يتعرض لحربٍ كونية تشارك فيها اسرائيل والولايات المتحدة ومعها دول اوربا الغربية مع قوى داخلية واقليمية مرتبطة بدول الخليج وبتنظيمات القاعدة في المنطقة، كما ان حركة حماس لاتشارك السلطة الحاكمة في سوريا، بأنها انما تتعرض لهذه الهجمة الكونية (كما تدعي وسائل اعلامها) لانها ترجع الى ان سوريا تمثل رأس جبهة المقاومة والممانعة المعادية لاسرائيل والولايات المتحدة. ان اعطاء حركة حماس ظهرها الى القيادة السورية وعلى العكس مما تقوم به حركة حزب الله في لبنان من انغماسها في تلك الحرب الداخلية في سوريا، يعني ايضاً ان هذا الحركة غير مستعدة للتعاون بهذا الشأن مع اكبر واقوى حليف اقليمي لايران. بناءاً على هذه الحقائق نخرج بنتيجة مؤداها ان العامل المذهبي وان لم يكن العامل الوحيد في الربط بين الأطراف التي تلتف حول ايران وتشكل معها قوة اقليمية معينة، ولكنه يبقى العامل الحاسم الذي نجح ايران في توظيفه في خلق منطقة النفوذ هذه.

اما بخصوص حركة الحوثيين في شمال اليمن والتي تنسب الى المذهب الزيدي، فانها حركة محدودة التأثير، ولاترتقي الى مستوى تأثير حزب الله مثلاً، كل ما هنالك هو ماتشير اليه اجهزة المخابرات اليمنية بين فترة واخرى عن الكشف عن اسلحة واعتدة خفيفة ومتوسطة ترسلها ايران عبر البحر وموجهة الى الحوثيين، لكي تعزز وقوفهم ضد السلطات اليمنية، وتمكنهم من الاستمرار في حركتهم المسلحة.(*)

(*) ان تدخل ايران السافر في مختلف شؤون الحياة السياسية والاجتماعية قد وصل الى حدٍ دفع بأحد ساسة العراق وزعيم حزب الأمة مثال الآلوسي الى القول بأن ايران ربما تقف خلف التدهور الأمني الفضيع في العراق، وذلك في سعيها لتحويل الصراع من سوريا الى العراق (صحيفة المدى، العدد ٢٨٥٢، الخميس، ٢٥.تموز.٢٠١٣، ص٢.

(130) Judith S.Yaphe, op. cit. pp.42 – 49.

(*) ذكرت الفضائية الخليجية ((العربية و العربية الحدث)) في نشرتها المسائية ونقلاً عن وزير الدفاع اليمني اللواء عبدالقادر قحطان، في ٩/شباط/٢٠١٣. بأنه تم ضبط شحنة خطيرة من السلاح قادمة من ايران عن طريق البحر وموجهة الى الحوثيين وتقدر

ويرى بعض المحللين السياسيين اليمنيين بأن الهدف الاستراتيجي البعيد لايران من تسليح الحوثيين في اليمن هو ان يكون لها موطأ قدم على البحر الأحمر، هذا الممر المائي البالغ الحيوية[**]، لنقل البترول والغاز الى اوربا الغربية عبر البحر المتوسط. ان استقراءاً لتأريخ التطلعات الستراتيجية ولبسط النفوذ الجيوبوليتيكي لدولة من الدول الطامعة في ان تكون لها مكانة دولية، تشير الى ان هذه الأطماع لاتقف عند حدٍ معين مالم يردعها رادع قوي. ولاتشذ ايران ذات الصبغة المذهبية عن هذه القاعدة، لذلك لانستبعد صحة تلك الأخبار التي تناقلتها عدد من وكالات الأنباء عن محاولات ايران للتغلغل في غرب افريقيا وبالذات في نيجيريا وعبر الأقلية الشيعية الموجودة في هذه الدولة، وربما ايضاً من خلال تقديم الدعم اللوجستي الى مجموعة ((بوكو حرام)) السنية ذات الميول الارهابية المستمدة من اساليب القاعدة.[*]

هذه الأنشطة وغيرها مما تكشف عنه العديد من دول آسيا وافريقيا والتي لايتسع مجال لشرحها لاتأتي من فراغ، اذ ليس هناك مايجمع بين دول النيبال مع ماليزيا وآذربيجان وتايلند في آسيا وكينيا ونايجيريا في افريقيا وبين الأرجنتين في امريكا اللاتينية، لكي تتفق على خلق اتهامات وهمية تدين انشطة مخابرات دولة بعينها وتتهمها بممارسة انشطة ارهابية على اراضيها. لذلك يمكننا القول بأن مثل هذه الاتهامات لاتأتي جزافاً، وهي وان كانت في بعض الأحيان لاترافقها عرض الأدلة والبراهين الدامغة، ولكنها تشير الى ان لادخان بدون نار، وان هناك ارادة سياسية تخطط وتمول وتنفذ مثل هذه الأنشطة، والتي تشكل بمجملها جزءاً من الصورة التي تحاول ايران ان ترسمها لاقليم تمارس فيها شكلاً من اشكال الهيمنة الاقليمية.

ثانياً: الأطراف والدول التي ترى ان بقائها مرهون بتحالفها الاستراتيجي مع ايران:

ألف: حزب الله في لبنان وبعض الأطراف الأخرى:

يأتي حزب الله من لبنان في مقدمة هذه الأطراف التي تجد نفسها مدينة لايران ليس في بقائها وانما في ظهورها كقوة سياسية لها ثقلها السياسي والعسكري في لبنان والمنطقة. فقد نشأ حزب الله في ايران كما يؤكد احد الباحثين وذلك بتأثير ولاية الخميني على الشيعة اينما وجدوا، ووفقاً لما يقوله نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله، فان على الشيعة في جميع بقاع العالم الانقياد للخميني كقائد للأمة الاسلامية جمعاء، لايفصل بين مجموعاتها وبلدانها اي فاصل.[١٣١] وهناك من يرى في ان السفارة الايرانية في بيروت، قد تحولت منذ الثمانينيات من القرن الماضي الى قيادة اركان حقيقية للشيعة في لبنان.[١٣٢] وقد اقر الناطق باسم الحزب ابراهيم الأمين بهذا الواقع

بحوالي اربعون طناً من المتفجرات. واضافت الفضائية نقلاً عن الوزير بأنه لو وصلت هذه الشحنة الى الحوثيين، فانها كانت قادرة على قتل الملايين.

(**) جاء ذلك في مقابلة تلفزيونية اجرتها فضائية ((العربية)) بتأريخ ٣/آذار/٢٠١٣ مع المحلل السياسي اليمني على الذكرى في برنامج ((پانوراما)).

(*) استناداً الى شبكة BBC الناطقة بالفارسية، وخلال نشراتها الاخبارية ليومي ٢٠و ٢١ شباط ٢٠١٣. فان نيجيريا اعلنت عن القبض على شخصين من قادة الأقلية الشيعية في نايجيريا، واللذين اعترفا بأنهما زودا بمتفجرات من ايران لتفجيرها في السفارتين الأمريكية والاسرائيلية كما اعترفا بأنهما قضيا سبع سنوات للدراسة في معاهد قم الدينية وتدربا سنتين على استخدام مختلف انواع الأسلحة.

(١٣١) امين مصطفى، المقاومة في لبنان، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠١، ص٤٢٥.

(١٣٢) وضاح شرارة، ص٢٧٧.

ووجده مبعثاً على الزهو والتفاخر، وكما جاء في (جريدة النهار البيروتية) في ١٩٨٧/٣/٥، حيث قال ((نحن لانقول اننا جزء من ايران، اننا ايران في لبنان، ولبنان في ايران)). كما جاء في ميثاق الحزب مايلي ((اننا ابناء امة حزب الله، التي نصرالله طليعتها في ايران، وأسست من جديد نواة دولة الاسلام المركزية في العالم، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة، تتمثل في الولي الفقيه الجامع للشرائط)).[١٣٣]

اذا كانت هناك دواعٍ سياسية تقف في وجه هذا الحزب ويجعله متردداً في الافصاح عن خفايا ترابطه العضوي مع ايران كدولة تبحث عن فرض هيمنتها على المنطقة خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، فانه لم يعد الان يكترث بما يترتب على علاقاته الصميمية والحياتية مع ايران، فانه ومنذ بدايات القرن الحالي لم يعد مكترثاً بما يترتب على الكشف عن حقيقة ارتباطاته العضوية مع ايران ولم يعد مهتماً بما يسفر عنه هذه الارتباطات من تشويه صورته في أعين الجماهير العربية والاسلامية، والتي دأب على خلقها طوال مايزيد عن عقدين من الزمن، وحرص على الابقاء عليها من دون تشويه. فقد اقر حسن نصرالله بأنه ((لايستحي من التحالف مع محور ايران وسوريا، فهما اصدقائنا وحلفائنا واحبائنا واعزائنا نعتز بهم ونفتخر)).[*]

ان المواقف السياسية التي يتخذها هذا الحزب والأنشطة والعمليات التي يقوم بها والتي تصب في النهاية في خدمة اهداف ايران الستراتيجية، يعني بأن ايران قد نجحت فعلاً في توظيف العامل المذهبي لتحقيق اهدافها الاقليمية بطريقة او اخرى، بل وتجاوزت الى اهدافٍ تتعلق بما يسميه المرشد الأعلى (بحفظ النظام) في الداخل الايراني، ونجحت ايران ايضاً في تحويل هذا الحزب الى قوة ضاربة تعمل بصورة غير مرئية وغير محسوسة داخل أرض العدو، فتقوم بعمليات التصفية الجسدية لقادة المعارضة الايرانية في الخارج.

وتأتي مشاركة عناصر من حزب الله اللبناني في العملية التي عرفت بعملية (مطعم ميكونوس) في برلين بتأريخ ١٩٩٢/٩/١٧ والتي اسفرت عن اغتيال صادق شرفكندي ورفاقه[١٣٤]، من قادة الحزب الديموقراطي الكردستاني الايراني خير دليل على هذه الحقيقية. فقد شارك في العملية بمختلف مراحلها كل من عباس حسين ومحمد يوسف أمين وفضل الله حيدر وهم عناصر من حزب الله. وكانت العملية قد تمت بناءاً على أوامر صدرت من أعلى المستويات في القيادة الايرانية، والذين صدر بحقهم قرارات ادانة من محكمة (ميكونوس).[١٣٥]

ان استخدام عناصر من حزب الله لتنفيذ عمليات خارج حدود ايران وعلى طول العالم وعرضه لم يكن مقتصراً على التصفية الجسدية لقادة الأحزاب المعارضة الايرانية الذي ترى فيهم النخبة المذهبية الحاكمة في ايران خطراً عليهم وعلى النظام، بل وامتد هذا الاستخدام ليغطي عمليات خاصة تصنف عالمياً على انها عمليات ارهابية. ومنها على سبيل المثال لا الحصر تفجير المركز الثقافي اليهودي في (بوينس آيرس) بأرجنتين عام ١٩٩٤[١٣٦]، والذي أدان فيه المدعون من الأرجنتينيين ايران وحزب الله بتنفيذ العملية التي اسفرت عن مقتل ٨٥ شخصاً وجرح اكثر

(133) http://www.soorya-info.com/2012.

(*) حوار حسن نصرالله مع قناة الجزيرة في ٢٠٠٦/٩/٢١.

(134) Geoffrey Robertson, Mullahs with out Mercy, Human Rights Nuclear Weapons, Biteback publishing Ltd. London SE1 7SP. P.128.

(135) mediya.net/siyaset/mikonost.htm.

(136) maktoob.news.yahoo.com.

من ٢٠٠. وكان عماد مغنية العضو البارز في حزب الله والمدعو الحاج رمضان من بين المنتمين الى حزب الله والذين حامت حولهم الشبهات بشأن اشتراكهم في هذه العملية.(١٣٧)

هذه العملية ومثيلاتها ومنها تفجير حافلة للسياح في بلغاريا في صيف ٢٠١٢ والتي اودت بحياة خمسة من السياح اليهود، والتي ادان فيها القضاء البلغاري شخصان من حزب الله اللبناني يحمل احدهما الجنسية الكندية والآخر الجنسية البرازيلية، بتنفيذ العملية، وقد اقرا بانتمائهما الى الحزب المذكور، كانت ضمن المبررات التي استند عليها الاتحاد الاوربي في اصدار قرار بادخال الجناح العسكري لحزب الله ضمن قائمة الحركات الارهابية.(*)

والمهم في الموضوع هو ان هذه العمليات ومثيلاتها من الأنشطة التي يمكن ادراجها في قائمة الارهاب، لاتمت بصلة الى المصالح السياسية للبنان كدولة، ولا للشعب اللبناني، بل وتصب في خدمة مصالح ايران الستراتيجية والتي تتلخص في الحاق الخسائر المادية او البشرية التي تعود الى الولايات المتحدة واسرائيل وحلفائهما على طول العالم وعرضه.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل تفتقر ايران الى القوى البشرية اللازمة للقيام بمثل هذه العمليات؟ والجواب كلا بالطبع. ولكن السر في لجوء ايران الى الاتكاء على عناصر من حزب الله اللبناني، لأن استخدام هؤلاء لايثير الشكوك في كثير من الدول التي تصبح هدفاً لمثل هذه العمليات، وانه حتى في حالة القبض على مدبري مثل هذه العمليات وهم متلبسين بالجرم المشهود، فانه يصعب ربط عملهم بالجهة المدبرة والمخططة لمثل هذه العمليات والمستفيدة منها. وقد نجحت ايران في النأي بنفسها عن بعض تلك العمليات واخفقت في البعض الآخر. وهي مع كل تحفظاتها فشلت في ان تبعد نفسها من الصاق تهمة الدولة الراعية للارهاب وفقاً لتصنيف الولايات المتحدة واسرائيل وعدد من دول اوربا الغربية.

والواقع ان الأواصر الحميمة التي تشد حزب الله الى ايران والمستمدة من المنطلقات المذهبية المشتركة، قد منحت ايران ذراعاً قوية غير مرئية في بعض الحالات، لاتنحصر وظيفتها في اصطياد قادة المعارضة في الخارج، او ضرب اهداف منتقاة تعود الى الأطراف التي تصنفها ايران على انها عدوها الرئيس، بل وهناك مايشير الى تجنيد ايران لعناصر من حزب الله لخدمة اهداف من نوع آخر.

ففي سابقةٍ تعد الأولى من نوعها، اعلنت الادارة الأمريكية عن ادخال مجموعة من رجال الأعمال اللبنانيين في القائمة السوداء والعاملين في كل من سيراليون وكامبيا وغانا وساحل العاج وذلك بذريعة قيام هؤلاء بتوظيف نشاطهم الاقتصادي في خدمة الاقتصاد الايراني المحاصر والمثقل بالعقوبات الدولية، ولكي يضعون حداً لمحاولاتهم الرامية الى الالتفاف على تلك العقوبات*.

واذا كان متعذراً على الباحث الموضوعي التيقن من صحة هذه الادعاءات فان هناك كماً هائلاً من المواقف التي اتخذها ويتخذها حزب الله اللبناني والتي لايجد الباحث تفسيراً لها غير ادراجها ضمن المواقف التي تخدم حصراً الأهداف الاستراتيجية لايران، ولا علاقة لها بالشأن اللبناني.

(137) Egyptian eagle. 1973 – plogspost.com/2012.

(* وجميع وكالات الأنباء، بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٢، CNN، BBC.World) هذا ما اعلنته

*قناة العربية(الاماراتية) النشرة الاخبارية المسائية في ١١-٦-٢٠١٣.

التحالف الثلاثي الاستراتيجي(ايران، حزب الله، سوريا):

ان وقوف حزب الله الى جانب النظام السوري في الصراع الدموي الذي مضى عليه مايزيد على اربع سنوات، يشكل مدى عمق الأواصر والعلاقات المصيرية التي تربط بين هذه الأطراف الثلاثة، والذي يعكس مدى ارتباط وجود اطراف هذا الثالوث كل منها بالآخر. كما ويؤكد ايضاً على مدى انصياع حزب الله الى مايصدر من صانعي القرار في ايران على انه قرار استراتيجي تهم اطراف هذا الثالوث، والذي يضمن لايران هيمنته الاقليمية من خلال الابقاء على حزب الله كذراع ايرانية على الحدود الشمالية لاسرائيل وفي الساحل الشرقي من البحر المتوسط وغير بعيد من غزة حيث تتواجد فيها حركة حماس. ومن جهة ثانية فان حزب الله يرى بأن وجوده مرهون ببقاء سوريا الأسد كجسر لتمرير كافة أشكال الدعم المادي واللوجستي من ايران الى لبنان، وكغطاء للتستر على اشكال الدعم تلك، والنظام السوري بدوره لم يكن قادراً على البقاء في وجه هذه الثورة الشعبية العارمة والتي يسميها الاعلام الرسمي بالحرب الكونية على سوريا، لولا الدعم الايراني اللامحدود لها والتي سيأتي البحث الى ذكرها لاحقاً، الى جانب الدعم الذي بدأ يتلقاه بصورة سافرة من حزب الله.

ولقد لخص حسن نصرالله الهدف من الموقف الذي اتخذه بادخال قواته المسلحة في معمعة الصراع المسلح الدائر في سوريا، محاولاً ايجاد تبريرات والمسوغات لهذا التدخل السافر بعد ان كان يدعي بأن حزب الله ينأى بنفسه عما يدور في سوريا.

فقد ذكر في خطاب له بمناسبة الذكرى الثالث عشرة لانسحاب اسرائيل عن لبنان، بأنهم في لبنان يواجهون خطرين، وهما اسرائيل والتكفيريين على الحدود (يقصد المعارضة المسلحة للنظام السوري) واضاف: بأنه ((لايمكن ان نقف مكتوفي الأيدي وينكسر ظهرنا في سوريا، وان سقوط سوريا هو سقوط لبنان وفلسطين، وان ما يجري في سوريا هو شيء مصيري بالنسبة لنا)).[*]

بهذه العبارات وأمثالها لخص الأمين العام لحزب الله الدوافع والتبريرات التي دفعت به لزج قوات الحزب في الحرب التي تدور في سوريا، وكانت احتلالهم لمدينة ((القصير)) السورية باكورة هذا التدخل.

والسؤال الذي يفرض نفسه بهذا الصدد هو: كيف تاتى لحزب سياسي في دولة صغيرة بحجم لبنان لايتجاوز مساحته عن ١٠٠٠٠كم^{٢} وسكانه لايزيد كثيراً عن اربعة ملايين[١٣٨]، ان يكون جزءاً من المعادلات الجيوبوليتيكية في هذه المنطقة الستراتيجية من الشرق الأوسط وان يلعب دوراً هاماً في تغيير التوازنات الاقليمية والدولية؟ تكمن الاجابة في مجموعة من العوامل منها مايتعلق بالموقع الجغرافي الستراتيجي للبنان وبتركيبتها الاثنية والمذهبية، ومنها مايتعلق بطبيعة التحالفات الاستثنائية التي يقيمها حزب الله مع كل من سوريا وايران.

فالدعم الايراني اللامحدود لحزب الله وفي كافة الميادين، اضافة الى دور سوريا كوسيط لايصال كل أشكال الدعم اللوجستي (الأسلحة والعتاد)، وكشريك في هذه العملية برمتها، كل ذلك وغيرها من العوامل التي لايتسنى للبحث تناولها، قد حول هذا الحزب فعلاً الى دولة داخل دولة، فهو يملك من الأسلحة ووسائل الحرب ما لاتملكه دولة لبنان كماً ونوعاً .[**]

([*]) هذا ماجاء في قناتي ((العربية)) و ((الجزيرة)) الفضائيتين، بتأريخ ٢٠١٣/٥/٢٦.

([138]) Insight Guides, world Encyclopedia, 2nd Edition, 2008, p.125.

([**]) اكد السيد فؤاد السنيورة رئيس وزراء لبنان السابق، واحد قادة مجموعة الرابع عشر من آذار، ان قوة حزب الله المسلحة تفوق قوة الدولة اللبنانية وذلك في برنامج ((وراء الخبر)) لقناة ((الجزيرة)) في ٢٠١٣/٦/١٩.

ويرى العديد من المراقبين السياسيين ممن يتسمون بقسط كبير من الموضوعية والأمانة العلمية، بأن هذا الحزب وخلال فترة رئاسة ((ميشيل سليمان)) ونجيب ميقاتي، قد نجح فعلاً في مصادرة القرار اللبناني، وانه قد حول لبنان الى دولة تدور في الفلك السوري الايراني، واصبح لبنان بفعل هذه التحولات رهينة للقرار السياسي لحزب الله، والذي بدوره يتخذ قراراته الستراتيجية بالشكل الذي يخدم اهداف ايران الاستراتيجية.

فهذه الحرب لم تأتي تلبيةً لمتطلبات الأمن القومي اللبناني او خدمة لمصالح الشعب اللبناني، بقدر ما كانت الحرب جزءاً من الصراع بين اسرائيل وبينما يسمى بجبهة المقاومة والممانعة المتمثلة بسوريا وحزب الله ومن ورائهما ايران. وحاول الحزب استثمار نتائج الحرب لتجميل صورته التي بدأت تفقد بريقها لدى رجل الشارع العربي الذي راح يدرك الطبيعة الطائفية للحزب، وللتبشير بالتشيع في سوريا. فاذا كانت الحرب قد الحقت اضراراً بشرية كبيرة بلبنان ودمرت اجزاءاً واسعة من البنية التحتية بالاقتصاد اللبناني، فان الحرب وما تمخضت عنه من نتائج، قد استثمرت بشكل تخدم مصالح كل من ايران وسوريا وحزب الله، وبأنماط متباينة.[١٣٩]

هكذا نجد تشابكاً وارتباطاً عضوياً بين اهداف ايران الاقليمية وبين حزب الله كحركة سياسية وعسكرية في لبنان وبين سوريا كنظام وكدولة تديرها نخبة سياسية تنتمي الى نحلة مذهبية معينة.

اما فيما يخص اطرافاً اخرى كحركة حماس والجهات الاسلامي في قطاع غزة بفلسطين، وحركة الحوثيين في اليمن وحركة أمل الشيعية في لبنان، فان أنشطتها ومواقفها السياسية لاترتقي الى مواقف حزب الله ولايمكن مقارنة ثقلها السياسي والعسكري بما يملكه حزب الله من هذا الثقل، لذلك تبقى اهمية هذه الأطراف في المعادلة الاقليمية.

ب - دولة سوريا كأكبر حليف ستراتيجي لايران في المنطقة:

من منظور الجغرافية السياسية فان سوريا تتمتع بموقع جغرافي على جانب كبير من الاهمية الجيوسياسية، فهي تحتل جزءاً هاماً من السواحل الشرقية للبحر المتوسط وهو البحر الذي يشكل احدى المكونات الرئيسية للطريق المائي الحيوي الذي يربط عالم المحيط الهندي والبحر العربي بأوربا وشمال افريقيا، بل والى السواحل الغربية للمحيطالأطلسي. ومن جهة اخرى فان لسوريا حدوداً مشتركة مع تركيا، الدولة غير العربية واحدى اعضاء حلف شمالي الأطلسي المعروفة اختصاراً ب NATO. كما تحادد اسرائيل التي تحتل جزءاً استراتيجياً من اراضيها والمعروفة بهضبة الجولان.

فلكياً تقع سوريا بين خطي الطول ٣٧° ٣٥' - ٢٥' ٤٢° شرقاً وبين دائرتي العرض ١٩° ٣٢' - ٢٠' ٣٧° شمالاً.[١٤٠] ولسوريا حدوداً مشتركة مع الدول المحيطة بها وعلى النحو التالي، فأطول حدودها هي حدودها الشمالية مع تركيا وطولها ٨٢٢كم وطولها مع كل من لبنان والأردن فهو ٣٧٥ و ٧٦كم على التوالي ومع فلسطين (اسرائيل) فهو ٧٦كم، وطول حدودها مع العراق بما فيها حدودها مع اقليم كردستان فيبلغ ٦٠٥كم.[١٤١]

وباستثناء علاقات سوريا الرسمية مع كل من لبنان والعراق فان علاقاتها مع بقية الدول المحيطة بها فهي اما غير ودية كما هي مع كل من تركيا والأردن او عدائية كتلك التي تسود بينها وبين اسرائيل، كما ان المجموعات

(١٣٩) المعهد الدولي للدراسات السورية، البعث الشيعي في سورية (١٩١٩ – ٢٠٠٧)، ص١٢٣ – ١٢٥.
(140) Philips Encyclopedia world Atlas, Hong kong, 1995, p.97.
(141) geography.about.com/library.cia/bicsyria.htm.

السكانية التي تسكن الجانب الآخر من حدود سوريا مع كل من العراق ولبنان وتركيا فانها في معظمها لاتحمل مشاعر الود نحو الفئة الحاكمة في سوريا ولاسيما منذ اندلاع الثورة السورية الحالية.

اما من حيث السكان فان مجموعه الكلي لعام ٢٠٠٢ كان حوالي عشرون مليوناً، ومساحتها تقدر بحوالي ١٨٥.١٨٠كم٢.[١٤٢]

وعلى الرغم من ان الصحارى تغطي معظم مساحة سوريا، فان الزراعة تشكل قطاعاً رئيسياً من الاقتصاد السوري، لذلك فان غالبية سكانها يتركزون في المناطق التي تصلح للزراعة والتي تتمثل في ضفاف نهر الفرات وروافده اضافة الى بعض الأنهار الصغيرة الأخرى، كما يتركز السكان ايضاً على الشريط الساحلي الواقع على السواحل الشرقية للبحر المتوسط. ان سيادة المناخ الصحراوي وشبه الصحراوي في سوريا، مع هذا العدد الكبير نسبياً من السكان قد اوجد ضغطاً كبيراً للسكان على الأراضي الصالحة للزراعة والسكن في سوريا.[١٤٣]

اذا راعينا الأوضاع المناخية والسكانية لسوريا، وراعينا ايضاً افتقار سوريا الى ثروة معدنية، مناسبة، لأدركنا الواقع الاقتصاد السوري. فقد شكلت الصناعة حوالي ٢٨٪ من مجموع الانتاج القومي لسوريا عام ٢٠٠٦، بينما شكلت الزراعة ٢٢٪ من هذا الانتاج، وشكل قطاع الخدمات ٥٠٪ من ذلك الانتاج.[١٤٤]

ولسوريا تركيبة دينية وقومية (اثنية) معقدة بعض الشيء، وذلك على الرغم من ان المكون العربي السني يشكل حوالي ٩٠.٣٪ من المجموع الكلي لسكان سوريا.[١٤٥] ولاشك ان لمثل هذه التركيبة القومية والدينية والمذهبية المعقدة والمتباينة تداعيات سياسية واضحة تركت آثارها على الحياة السياسية في هذا البلد، وتفاقمت خطورة هذه التداعيات السياسية منذ اندلاع الثورة السورية في ربيع ٢٠١١. وهناك اجماع بين كل المهتمين بمسألة الثورة السورية على ان هذا النمط من التركيب القومي والديني والمذهبي يشكل سبباً أساسياً من أسباب اطالة امد الثورة السورية، وذلك على العكس من بقية ثورات الربيع العربي التي اسفرت عن سقوط عدد من الأنظمة الشمولية خلال فترةٍ قصيرة نسبياً، كما ان ضحايا الثورة السورية من الأبرياء ومن اطراف الصراع تفوق بكثير ضحايا مثيلاتها من ثورات الربيع العربي. ففي سوريا تشكل عناصر من اقلية مذهبية معينة اقوى العناصر المتنفذة في الجيش والحزبوالدولة، وقد تمكنت النخبة الحاكمة من خلق قناعةٍ لدى افراد هذه الأقلية المذهبية، بأن الثورة السورية انما هي حرب مذهبية تشنها مجموعات سنية متطرفة هدفها ابادة هذه الأقلية المذهبية، لذلك فان العديد من افراد هذه الأقلية تدافع اليوم دفاع المستميت للحفاظ على النظام في سوريا.[١٤٦] ونظراً لأن التركيبة القومية والدينية والمذهبية لمعظم دول الربيع العربي ولاسيما مصر وليبيا وتونس ليست على هذا المستوى من التعقيد، لذلك لم تطول أمد تلك الثورات كما ان حجم ضحاياها من المدنيين وغيرهم وما تعرض لها هذه البلدان من تدمير للمدن والقرى وتخريب للبنية التحتية، لايمكن مقارنته بالحجم الكارثي للضحايا البشرية وتدمير المدن والبنية التحتية والذي ارتكبه النظام السوري منذ اندلاع الثورة السورية في آذار ٢٠١١. وقد توج كل هذا التخريب باستخدام السلاح

(142) World Encyclopedia, op.cit, p.124.
(143) Lucile Carlson, Geography and world politics prentice – Hall.INC, Englewood cliffs, N.J, P.424.
(144) World Encyclopedia, op.cit, p.124.
(145) World Encyclopedia, op.cit, p.124.

(١٤٦) المعهد الدولي للدراسات السورية، البعث الشيعي في سوريا، المصدر السابق، ص١٥٣ – ١٥٤.

الكيمياوي المحرم دولياً في ٢١/آب/٢٠١٣، والذي اودى بحياة مايزيد عن ١٤٠٠ شخصاً من الأطفال والنساء والشباب وغيرهم.[١٤٧]

هناك اجماع بين الباحثين على ان بقاء قسم من الجيش السوري موالين للنظام انما يعزى بالدرجة الأولى الى هذه التركيبة المذهبية والدينية والقومية المعقدة لسكان سوريا، ولا نجانب الصواب اذا قلنا بأن مايزيد عن ٨٥٪ من كبار قادة الجيش السوري انما ينتمون الى الأقلية العلوية.

وقد تولدت لدى افراد هذه الأقلية ولاسيما منذ اندلاع الثورة السورية، بأنهم لاخيار امامهم غير خوض المعركة الى نهايتها، لأن هزيمتهم في هذا الصراع سيكلفهم حياتهم وان افراد هذه المجموعة المذهبية، مع الحاق الهزيمة بنظام الأسد انما يتعرضون لحملة شاملة للأبادة الجماعية.[١٤٨]

وقد لعب الاعلام الرسمي للنظام وأجهزة مخابراته المتباينة دوراً بارزاً في خلق هكذا انطباع لدى افراد هذه المجموعة المذهبية، وتجعل معظم افراد هذه المجموعة على قناعةٍ بأن لاخيار امامها غير ان تربط مصيرها بمصير النظام، وان تدافع دفاع المستميت عن هذا النظام. ومن كل ذلك نخرج بنتيجةٍ مفادها، ان التركيب المذهبي والديني والقومي للمجتمع السوري، قد استغل بدهاءٍ، تم توظيفه سياسياً لخدمة النظام وبقائه.

ويرى بعض الباحثين بأن التحولات السياسية التي اعقبت اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط ٢٠٠٥، وتوجيه أصابع الاتهام الى النظام السوري وحزب الله في التخطيط والتنفيذ لهذه الجريمة، وما اعقب ذلك من قرار باخراج سوريا من لبنان، فان كل التغييرات قد هيأت الأجواء لخلق تحالف ستراتيجي يجمع سوريا بايران وحزب الله ويربط مصير هذه الأطراف بعضها بالبعض الآخر. والأكثر من ذلك فان العزلة، الاقليمية والعربية والدولية التي فرضت على سوريا، قد دفعت بهذه الدولة لكي ترمي بنفسها في احضان النظام الايراني ولكي تتحالف مع حزب الله من موقع الطرف الأضعف. ومن جهة اخرى، فان ايران قد وجدت في سوريا ضالتها المنشودة التي تسمح لها بمد نفوذها وبسط سلطتها الى اكثر الأماكن حساسية وسخونة في العالم (الشرق الأوسط المجاور لاسرائيل، والمحاذى الشمالي لينبوع النفط الخليجي العالمي). حيث اصبحت سوريا، كما ترى بعض المصادر الغربية، ((تجد نفسها محشورة بين مطرقة الضغوط الدولية وسندان الانقاذ الايراني)). وهكذا اصبحت ايران في نهاية المطاف في ظرف لم تكن تحلم به في سوريا، وهي تدرك انه بحكم التطورات التي تعصف بالمنطقة من وقت الى آخر، وهي مفتوحة على المجهول، فان عليها (أي على ايران) ان تسابق الزمن لتجني أكبر قدر من المكاسب قبل ان يحصل ما تكرهه وتجبر ايران ان تنكفأ على جحرها.[١٤٩]

ويبدو ان هذا مايحصل الآن بالنسبة للتواجد الايراني في سوريا. وقد سبقت الاشارة الى ان التوجهات المذهبية التي تتحكم في فكر النخبة السياسية الحاكمة في ايران وخلال اكثر من ثلاثة عقود، وبدفع من حقائق الجغرافية السياسية وتطلعات جيوبوليتيكية، فان أفكاراً سياسية ترسخت في ذهن العديد من عناصر النخبة الحاكمة في ايران وتحولت الى مسلمات جيوبوليتيكية لابد لايران كقوة اقليمية كبرى ان تحقق تلك الأهداف بأي ثمنٍ كان وتحت أية ظروف كانت، وكأن التحالف الايراني - السوري انما هو قدر ايران الذي لافكاك منه. فان مانقل عن علي اكبر ولايتي من انه لولا الدعم الايراني لسوريا لسقطت سوريا، وان ايران لاتسمح بسقوط بشار الأسد مهما

(147) UN inspector report on chemical.

(١٤٨) المعهد الدولى للدراسات السورية، نفس المصدر، ص٨٩.

(١٤٩) البعث الشيعي في سوريا (١٩١٩ – ٢٠٠٧)، المصدر السابق، ص١١٥ – ١١٨.

كلفها ذلك من ثمن، او ما نقل عن احد خطباء الجمعةفي سوريا من ان سوريا هي المحافظة ٣٥ لايران وان ايران تعتبرها اهم من محافظة خوزستان لايران، انما يعبر كل ذلك عما استقرت في أذهان صانعي القرار السياسي في ايران، من ان سوريا كمنطقة لنفوذ ايران السياسي امر حيوي ولامناص منه، وان مصير سوريا (الأسد) مرهون بالدعم اللوجستي، والمادي والمذهبي لايران[١٥٠]. وفي كل الأحوال نجحت ايران في اضفاء الأثر المذهبي على طابع الصراع الدائر في سوريا، وفي جر حزب الله وعناصر من شيعة العر اق واليمن وغيرها الى هذا الصراع، والوقوف الى جانب نظام الأسد، بذريعة ((ان السيدة زينب لاتسبى مرتين)) وغير ذلك من الشعارات المذهبية التي تلهب الحماس المذهبي للشباب الشيعي في المنطقة.

الاستنتاجات:

١. ان انتهاج ايران السياسة الهيمنة السياسية على القرار الستراتيجى لعدد من دول المنطقة ومن خلال توظيف البعد المذهبي، قد مكنت ايران فعلاً من التحكم في القرارات المصيرية لهذه الدول، وتاتى سوريا و العراق في مقدمة هذه الدول كما ان ايران من جهة اخرى تلقي بثقلها على جانب كبير من القرارات المصيرية التى تتخذها كل من لبنان و دولة اليمن بعد الاطاحة بحكومتها و مؤسستها الشرعية من قبل الحوثيين والمتحالفين معهم من انصار رئيسها المخلوع على عبدالله صالح.
٢. ان هكذا استغلال للعامل المذهبي و توظيفه لخدمة الاهداف الجيوثولوتيكية في هذا الجزء الحساس من الشرق الاوسط، سوف يثير حفيظة عدد من دول المنطقة والتي تسكنها غالبية سنية، مما يدفع بدول مثل مصر و تركيا و ثاكستان و سودان و سعودية ان تتخذ مواقف واجراءات تخل باستقرار المنطقة كما تشكل خطرا على السلم العالمي، وذلك كمحاولة من هذه الدول لأعادة التوازن السياسي بين دول المنطقة، هذا التوازن الذي اخلت به محاولات الهيمنة الايرانية و التي دأبت ايران على الاخلال به طول مايزيد عن ثلاث عقود.
٣. ان احتمال نشوب حرب اقليمية بين ايران و حلفائها و بعض دول المنطقة ولاسيما الخليجية منها، والتي تقف خلفها دول ذات اغلبية سنية ولاسيما دول مث مصر و سودان والتي ترى في فرض هيمنة ايران على اليمن من خلال الحوثيين، على انها تهديد لامنها القومي و ذلك من خلال تحكمهم على مضيق باب المندب، البوابة الجنوبية للبحر الاحمر.
٤. ان هذا الاستقطاب الحاد لدول المنطقة و تقسيمها الى معسكرين، معسكر يضم ايران و من يدور في فلكها من الدول ذات الاغلبية السنية. وكل ذلك سوف يفتح شهية دول اخرى لكي تعمل و بكل الوسائيل المناسبة و المتاحة لكي تكون لها وطأة قدم و نفوذ سياسي في هذا الجزء من الشرق الاوسط.

(١٥٠)قناة العربية الاماراتية، النشرة المسائية في ٢٠١٤/٩/٢٥.

المصادر

المصادر العربية

١. بروكلمان كارل ، تأريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة، تموز ١٩٦٨

٢. باقر، طه، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة -الوجيز في تأريخ حضارة وادي النيل- جزيرة العرب وبلاد الشام، بعض الحضارات والأمم القديمة، بلاد ايران والأسكندر والسلوقيون، الجزء الثاني، وزارة الثقافة والاعلام، الطبعة الرابعة، ١٩٨٦

٣. حمه عزيز، فيروز حسن ، التحدي الكردي كنموذج لتحديات التنوع القومي والمذهبي لأمن ايران القومي، گۆڤاری زانكۆی سلێمانی -B- ذمارة -٢٦- سلێمانی، ٢٠٠٩.

٤. حمه عزيز، فيروز حسن ، الأهمية الجيوستراتيجية لكردستان الجنوبية وانعكاساتها على السياسة البريطانية تجاهه (١٩١٤ – ١٩٢٤)، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية ٢٠٠٨،

٥. حسين، طه ، في الادب الجاهلي، الطبعة الثالثة، مطبعة فاروق، القاهرة، ١٩٣٣

٦. الخفاف، عبد علي حسن وعبدالحميد عبدالمجيد القيسي، الأحوال الديموغرافية لايران، جامعة البصرة الدراسات الايرانية،١٩٨٧،

٧. الديب، محمد محمود ابراهيم ، الجغرافية السياسية، منظور معاصر، الطبعة الخامسة الناشر الانطلوالمصرية، القاهرة،٢٠٠٢

٨. السبكي، آمال، تاريخ ايران السياسي، عالم المعرفة، السلسلة ٢٥٠، المجلس الوطني للثقافة، الكويت ١٩٩٩، ص١١

٩. شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تأريخه حتى الفتح الاسلامي، الجزء الثاني، بغداد، بدون ذكر للمطبعة، ١٩٦٤

١٠. شريف، ابراهيم، الشرق الأوسط، وزارة الثقافة والارشاد، بغداد، ١٩٦٥،

١١. قاسم، رياض، بيان الارث المشترك بين العرب والايرانيين في ظل الدولة الاسلامية، العلاقات العربية الايرانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يوليو ١٩٩٦

١٢. كاظم ،نورس علاء موسى ، العراق في العهد العثماني، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩

١٣. لونطريط، ستيفن هيمسلي ، اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الرابعة مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨،

١٤. هروتي، سعدي عثمان ، كوردستان والامبراطورية العثمانية -دراسة في تطور سياسة العثمانية في كوردستان- مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨

١٥. المادة ٢ البند٤ من الفصل الاول من مقاصد هيئة الامم المتحدة و مبادئها- ديباجة ميثاق الامم المتحدة لعام ١٩٤٥

المصادر الفارسية

١. ايزدي،بيذن، سياست خارجي جمهوري اسلامي ايران، تهران، دفتر تبليغات اسلامي، قم .

٢. امين،سيد حسن، تأريخضة جمهورى خواهى در ايران، مجلة اطلاعات سياسى اقتصادى، العدد ١٧٢، شركت ايران ضاث، مؤسسة اطلاعات، سال شانزدهم، ١٣٨٠ (٢٠٠١)

٣. بخش،احمد تاج، سياستهاى استعمارى روسيه تزارى، انطلستان وفرنسه در ايران، ضاث اول، مؤسسة اقبال، تهران ١٣٦٢ (١٩٨٣)،

٤. تيرنزيو،شيو كارلو، رقابتها روس وانگليس در ايران وافغانستان، شركت انتشارات علمى وفرهنگى، وزارت فرهنگ و آموزش عالى، چاپ دوم، تهران، ١٣٦٣،

٥. پور، نعمت الله مظفر، رويارويى آرمان شهر گرايان، شركت انتشارات علمي و فرهنگى، چاپ اول تابستان ١٣٨٦ (٢٠٠٧٩ تهران

٦. در ايسدل، لا سداير وجيرالد بليك، جغرافياى سياسى خاورميانه وشمال افريقيا، ترجمه دره مير حيدرى، چاپ چهارم، دفتر مطالعات سياسي وبين المللي، تهران ١٣٧٤،

٧. رمضاني، روح الله ، چارچوپ تحليلى براى سياستت خارجى جمهورى اسلامى ايران، ترجمة علي رضا طيب، تهران، نشرنى، چاپ پنجم، ١٣٨٠

٨. رمضاني، روح الله، ضار ضوثى تحليلي براى بدرسي سياست خارجى جمهورى اسلامي ايران، ترجمة: كلير چاگيب، چاپ پنجم، چاپ غزال، تهران، ١٣٨٦ (٢٠٠٧)،

٩. زاده، فيروز مجتهد ، جغرافياي سياسي و سياست جغرافيايي، سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انساني دانشگاهى (سمت)، تهران، ١٣٩١ (٢٠٠٢)،

١٠. فولير،گراهام ، قبلهء عالم، ژئوپليتيك ايران ترجمه عباس مخبر، چاپ دوم، چاپ وانتشارات وزارات امور خارجه، تهران، ١٣٧٧ (١٩٩٨)

١١. فرد،كلير شجاعي، سلسلةها اسلامي در ايران ومسئله مشروعيت، مجلة اطلاعات سياسي اقتصادي، شمارهء: ١٥٣ – ١٥٤، فرداد ١٣٧٩ (٢٠٠٠) سال چهاردهم

١٢. قانون أساسي جمهوري اسلامي ايران، تهيئة وتنظيم: علي خاتمي، نوبت اول، انتشارات بلاغت، ليپوگرافى تعاوني قم، چاپخانه دانش، ١٣٧٦

١٣. القلم،محمود سريع، سياست خارجى جمهورى اسلامى ايران، ضاث اول، تهران، مركز تحقيقات استراتذيك، ١٣٧٩ (٢٠٠٠

١٤. كشاورز، بهزاد، تشيع وقدرت در ايران، انتشارات خاوران، چاپ اول، پاريس، ١٣٧٩

١٥. گريشمان، رومان، ايران أز آغارتا اسلام، ترجمه دكتر محمد معين، مؤسسه انتشارات نيگاه، تهران ١٣٨٦

١٦. هيرو، ديليث ، ايران در حكومت روحانيون، ترجمة: محمد جواد يعقوبي دارابي، مركز بازشناسي اسلامي در ايران، تهران، ١٣٨٦ (٢٠٠٧)

المصادر الانجليزية:

1. Alasdaire Erysdale and Gerald H. Blake, The, Middle East and North Africa-A Political Geography, Oxford University Press, 1985.
2. Lucile Carlson, Geography and World Politics, Englewood Cliffs, N.J,USA, 1960.
3. C.J.Edmonds Kurds, Turks and Arabs, Politics Travel and research in North –Eastern Iraq, London, 1934
4. G.Etzel, N.Marbury Efeminco co, World Political Geography, 2nd Edition, Thomas Y.Crowell Company, New York, 1962.
5. Mahmoud Sourioghalalam, Justice for, summer 2001
6. Foad Ajami, Lebanon and its inheritors, Foreign Affairs Magzine, Spring 1985.
7. Kayhan Barzegar, Iran and the Shiite Cresent, Myths and Realities, Brown Journal of world affairs, Volume XV, 2008.
8. Mehran Kamaran, The United States and Iran, The Middle East institute, Policy Brief, No.9, March 2008
9. George Lenczowski, Russia and the West in Iran, 1918 – 1948, Astudy in Big Power Rivalry, Ithaca, New York, 1949.
10. George Lenczowski, Russia and the West in Iran, 1918 – 1948, Astudy in Big Power Rivalry, Ithaca, New York, 1949.
11. N.Marbury Efeminco, World Political Geography, 2nd Edition, Thomas Y.Crowell co, New York, 1962.
12. Mehrdad R.Izady, The Kurds-A concise Handbook, Taylor and Francis, London, 1992, p.65.
13. Mahjoob Zweiri, Arab – Iranian Relation, Irans Foreign Policy,Publisher, Ithaca,Lebanan,2007
14. Hassan Arfa, The KURDS, An Historicak and Political Study, London, Oxford University press, 1966.
15. Lucile Carlson, Geography and World Politics, Prentice – Hall, INC, Englewood Cliffs, N.J. 1960
16. Christopher Cather wood, Imperialism and the creation of Modern Iraq, USA.
17. Richard J.Payne, The Clash with Distant Culture, New York, state University of New York press.
18. Shayerah Ilias, Irans Economic Conditions, Congessional Research Services, April 22,2010
19. Kayban Barzegar, Iran and the Shiite Crescent, Myth and Realities, Broun Journal of World Affairs, 2008
20. Richard J.Yaphe, The clash with Distant Cultures, New York state University press, 1995,
21. Kamran Taremi, (Iranian Foreign Policy toward Occupied Iraq, 2003 – 2005) Middle East policy, Vo 1.12.No.4.(winter 2005

22. That is what indicated by Zainab Badawy, BBC.World, quoting to Ayad Alawy Iraqi previous PM.
23. Geoffrey Robertson, Mullahs without Mercy, Human Rights Nuclear Weapons, Biteback publishing Ltd. London SE1 7SP
24. Insight Guides, world Encyclopedia, 2nd Edition, 2008
25. Philips Encyclopedia world Atlas, Hong kong, 1995
26. UN inspector report on chemical.

المصادر الالكترونية

1. http//www.ahl-ul-bayt.org/Final lib/other/Ghonone Assasi/index.
2. www.amontazeri.com
3. http:// acpss.ahram.org.eg/ahram/RE 2 D8.HTM
4. http://isna.ir/fa/news/(خطاب احمدى نجاد في الدورة ٦٧ للأمم المتحدة عام ٢٠١٢)
5. Ali Akbar Rezaei, Foreig Policy Theories, Irans Foreig Policy, Itheca press, UK, PRINTED IN Lebanon, www.ithecapress.co.uk
6. http:// www.economist.com/news/middle east./21573610.
7. http://www.tehrantimes.com/economy-and-business/104756 irans-inflation-rate-hits-27.4-central bank.
8. Yosef Bondansky, Iran to surge to Hegemonic position, http://oilprice.com/Geopolitics/htm/
9. www.sama – alshzib.com/vb/archive/index.php/htm/
10. http://www.soorya-info.com/2012.
11. mediya.net/siyaset/mikonost.htm.
12. maktoob.news.yahoo.com.
13. Egyptian eagle. 1973 – plogspost.com/2012.
14. geography.about.com/library.cia/bicsyria.htm.

المصادر و المقبلات التلفزيونية

1.Hooshiar Zebari, Hard Talk program, BBC.World, 24/7/2013.
2.That is what indicated by Zainab Badawy, BBC.World, quoting to Ayad Alawy Iraqi previous PM.
3.BBC.World ،CNN.٢٠١٣/٧/٢٢ .
٤.قناة العربية(الاماراتية) النشرة الاخبارية المسائية في ١١-٦-٢٠١٣.
٥.قناتي ((العربية)) و ((الجزيرة)) الفضائيتين، بتأريخ ٢٠١٣/٥/٢٦.
٦.برنامج ((وراء الخبر)) لقناة ((الجزيرة)) في ٢٠١٣/٦/١٩
٧. قناة العربية الاماراتية، النشرة المسائية في ٢٠١٤/٩/٢٥

٨.برنامج ((پانوراما)) الذي قدمته فضائية ((العربية)) الاماراتية في مساء ٤/نوفمبر/٢٠١٢ والذي شارك فيها ايضاً كل من محمد حمزة مدير منتدى الشرق الأوسط في القاهرة، والناشط السياسي اللبناني على امين اضافة الى الدكتور حارث سليمان.

٩. روسيا اليوم RTV مساء ٢٠١٢/٩/١٨.

الخلاصة

ان الجهود المضنية والتى بذلتها ايران الاسلامية، وفي كافة الميادين السياسية و اللوجستية و المخابراتية و الثقافية(الايديولوجية)، ولاسيما في العقدين الاخيرين، بهدف اقامة محور موال لها من الدول و الاحزاب و الحركات و المجموعات التي تتواجد شرقي البحر المتوسط، قد اثمرت حتى الان عن اقامة نطاق من الدول والحركات و المجموعات التى ترتبط بايران من خلال شبكة من العلاقات والمصالح الاقتصادية المشتركة، هذه العلاقات و المصالح التي تتوجها الارضية المذهبية المشتركة.

ان هذا المحور من الدول و الحركات التى تحولت في الواقع الى منطقة للنفوذ الايراني، فانه في الوقت الذي تتخذ اطراف هذا المحور مواقف سياسية تخدم في النهاية مصالح ايران الاستراتيجية، فانها اي اطراف هذا المحور تجد نفسها مدينة لايران ببقائها بالشكل الحالي من خلال الدعم السياسي و المالي و اللوجستى الذي تقدمه لها ايران، ويصح ذلك على سوريا و حزب الله في لبنان، اكثر من انطباقها على العراق و حركة الحماس في غزة و الحوثيين في اليمن.

ان تحكم حزب الله المتميز بالقرار اللبناني من جهة، والذي تاتي امتدادا للوجود السورى على السواحل الشرقية للبحر المتوسط من جهة اخرى، تمنح ايران هامشا كبيرا للمناورة على هذه السواحل بشكل او اخر، كما ان سيطرة الحوثيين على صنعاء و توجهاتهم بالتوسع نحو ميناء الحديدة ومضيق باب المندب، يفتح افاقا كبيرة امام ايران لاستخدام التواجد الحوثي اذا ماتم، كورقة ضغط في وجه الدول الخليجية التى تصدر جزءا كبيرا من نفطها خلال بوابة باب المندب و البحر الاحمر.

وفي نفس السياق فان ما الت اليه الروابط بين ايران و العراق بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ قد مهدت السبل لتكون لايران اليد العليا في رسم الكثير من سياسات العراق الخارجية و الداخلية، وبالنتيجة اصبح في مقدور ايران ان تستعمل الورقة العراقية في وجه السعودية و غيرها من الدول الخليج.

کورتەی باسەکە

هەوڵدانەکانی ئێران بۆ پێکهێنانی کەمەربەندێك لە دەسەڵات کە پێکهاتبێت لە چەند دەوڵەت و هێزێك کە سەرئەنجام هەژمونی ئێران لە ڕۆژهەڵاتی دەریای ناوەڕاست مسۆگەر بکات.

ئەم بەشە لە خۆڕهەڵاتی ناوەڕاست، بۆتە مەیدانی ململانێ و کێشمەکێشی نێوان زلهێزەکان و هەندێك هێزی ناوچەی هەرێمی بەمەبەستی سەپاندنی هەژموونی هەرێمی لەسەر ناوچەکە، لەپاڵ ئەمانەشدا هەندێك هێز و لایەن و حیزب و کۆر و کۆمەڵی سیاسیش بەشدارن لەو ملمێنانەدا.

ئێران سەرکەوتوبووە لە چونە ناوەوەی ئەو کۆمەڵگایانەی کەیان کەمایەتیەکی شیعی حکومی دەکات، وەك سوریا، یان ئەو دەوڵەتانەی کە کەمایەتیەکی شیعی چالاکی تیدایە وەکو لوبنان کە لەڕێگەی حزب الله بەدەست هاتووە، یان وەکو حوسیەکانی یەمەن لەمە ڕۆژهنەدا، ئەمە بێجگە لە کۆمەڵگای شیعی لە عێراقدا.

بەمشێوەیە ئێران بووەتە گەورەترین فاکتەر ویاریکەری سیاسی لەناوچەکەدا.

The Summery of the study

Iran's efforts to build a sphere of influence from those countries which guaranteed Iran's hegemony in the east of Mediterranean sea

This part of the Middle East has become an arena for power struggle between big powers, some regional powers, and other political and religious elements.

Iran now plays a vital role to get upper hand in this struggle

Iran successfully penetrated inside those societies which are either ruled by Shiiate minority such as Syrian state, or penetrated through sectarian parties such as Hizbul-lal in Lebanon. On other hand the Shiiate society in Iraq and yamen are among those factors which become a part of that strip known as Shiiate crescent